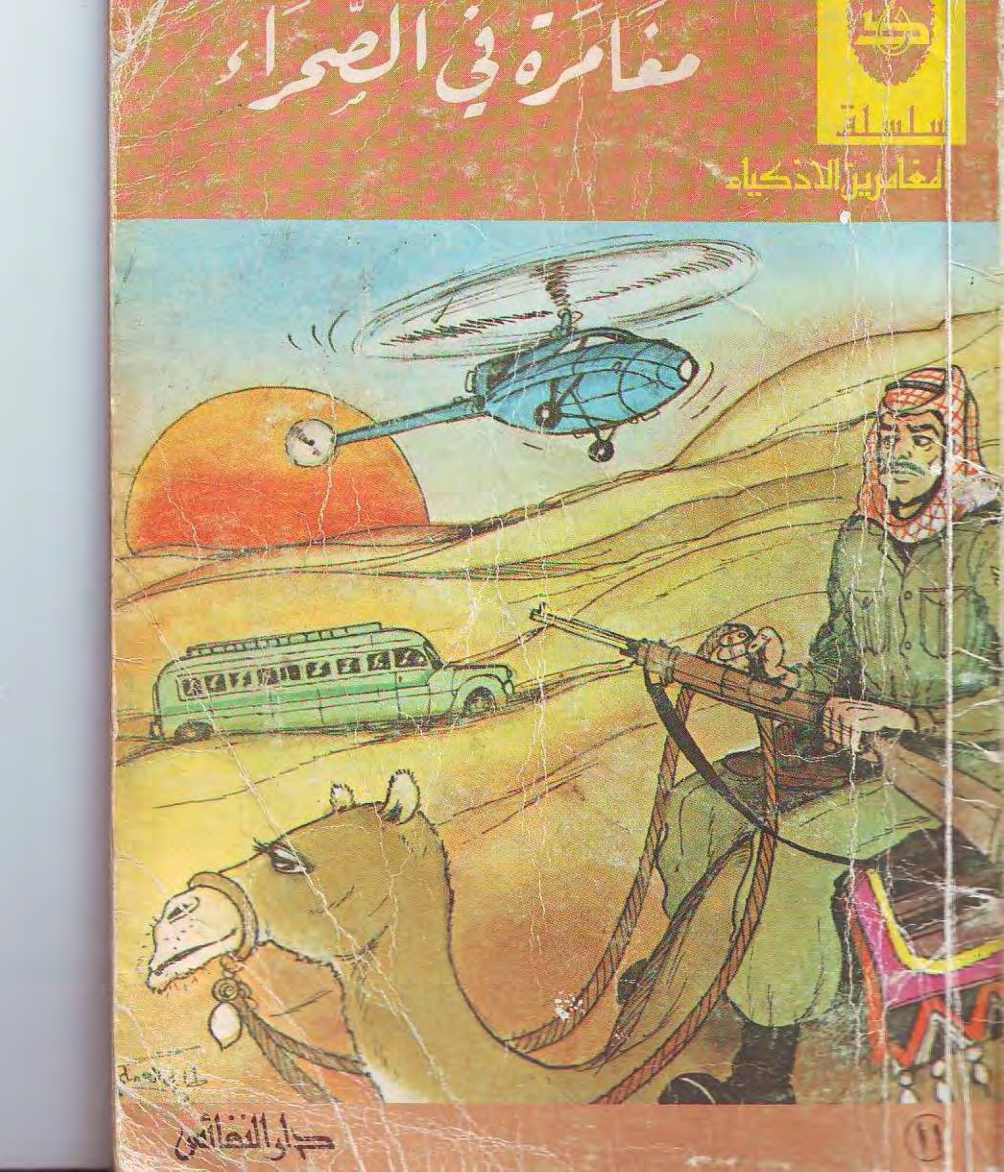

مغامرة في الصحراء
سلسلة
المغامرين الأذكياء
١١
دار النفائس



المغامرون الأذكياء

مغامرة في الصحراء

إعداد وتأليف
عبد الحميد الطرزي

تحرير وإشراف
الدكتور بكري شيخ أمين

دار النفائس

الطبعة الاولى ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م
الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م

© دار النفائس

بيروت - ص.ب : ١١/٦٣٤٧ - هاتف : ٨١٠١٩٤ - برقياً : دانفايسكو

رحلة إلى السد الكبير

ما إن أعلنت إدارة المدرسة عن الرحلة الجماعية التي ستنظمها إلى السد حتى سارع خالد وأعضاء فرقته إلى الاشتراك فيها . ولم يكن السد الكبير هو الذي حملهم على الاشتراك وحده ، ذلك أنهم رأوه مراراً في رحلات مدرسية سابقة ، لكن الذي أثار حماستهم الشديدة لهذه الرحلة خاصة هو مخططها الذي سيمر بالمدينة الأثرية المكتشفة حديثاً ، والتي تكشفت عن حضارة عظيمة قديمة يرجع تاريخها الى ما قبل سبعة آلاف سنة . لقد أدى هذا الكشف الأثري الى هزة عنيفة في الأوساط الثقافية في العالم كله ، وأوجب على المؤرخين أن يعيدوا النظر في التاريخ القديم لا للقطر وحده فحسب ، بل لكل المنطقة .

وهكذا ستتيح هذه الرحلة للمشتركين فيها أن يطلعوا على حضارتي القطر القديمة والحديثة ، وأن يروا في يوم واحد تقلبات الزمان خلال العصور والدهور ، وكيف أن مدينة عظيمة كانت قبل سبعة آلاف سنة ملء السمع والبصر ، هي اليوم غافية تحت التراب لا يكاد يشعر بها أحد ، وكيف أن صحراء قاحلة ظلت ملايين السنين مسرحاً للعواصف

الرملية ، هي الآن جنات مترعة بالخير بفضل السد العظيم الذي أقيم حديثاً .

كان مخطط الرحلة يقضي بالتجمع في المدرسة في الساعة الرابعة من صباح يوم الجمعة ، حيث يكون في الانتظار أربع سيارات سياحية كبيرة لتحمل المشتركين من طلاب وطالبات ومدرسين ومدرسات . وفي الرابعة والنصف يتحرك الركب باتجاه العاصمة سالكاً طريق الأوتوستراد ، وبعد مائة كيلو متر يتوقف في محطة على الطريق للاستراحة قبل أن يأخذ طريق الصحراء نحو المدينة الأثرية التي يجب الوصول إليها في الساعة العاشرة قبل الظهر . اما الغداء في الثانية عشرة فسيكون الى جوار السد . وفي الساعة الثالثة يتحركَ الركب في طريق العودة ليصل الى المدينة في حوالي العاشرة مساءً .

كانت أخطر المراحل في هذه الرحلة هي الصحراء التي لم تصل اليها مياه السد بسبب ارتفاعها الكبير . وأخطر ما فيها أنها خالية من الطرق المعبدة . فكان على السيارات ان تسير في ارض شديدة الوعورة خالية من أي مَعْلَمٍ يهدي الى الاتجاه الصحيح ، وفي ذلك ما فيه من احتمال أن يضل السائقون ، ويعرضوا من معهم من الطلاب إلى مخاطر جمة في صحراء شديدة الأهوال . ولكن إدارة المدرسة احتاطت للأمر فاستأجرت لهذه الرحلة أدلاء خبيرين بالمنطقة ، وجعلت إلى جانب كل سائق واحداً من هؤلاء الأدلاء .

ولكن كان لدى خالد ورفاقه مشكلة خاصة يجب حلها . وهي مشكلة

أعضاء الفرقة من الحيوانات ، وهم : فينو ، وسرور ، وفصيح . فهؤلاء طبعاً ليسوا من الطلبة ، وبالتالي لم تسجل أسماؤهم في قائمة المشتركين ، واصطحابهم يعني تطفلاً لا يليق بأشخاص مهذبين من أمثالهم . ولكن الرحلة بدونهم ستكون شيئاً لا طعم له ، بل ربما أدى ذلك إلى إثارة مشاعرهم ، واعتبارهم إياه نوعاً من التمييز العنصري الذي ترفضه كل القوانين العصرية !

فما العمل ؟

لا شك أن اصطحاب فصيح وحده لن يؤدي الى مشكلة ، فهو طائر أليف صغير لن يأخذ حيزاً من السيارة ، فمكانه المفضل دائماً هو كتف خالد . ولكن المشكلة الحقيقية هي في اصطحاب فينو وسرور . ولكن هل يمكن تركهما ؟ ألن يعتبرا ذلك تحيزاً واضحاً إلى جانب فصيح ؟ ألن يؤدي ذلك إلى تأجيج نار البغضاء بين فصيح وسرور فوق تأججها ؟

لا . لا . يجب اصطحاب الجميع ، وإلا أدى الأمر إلى انشقاق خطير في صفوف الفرقة لا تعرف عواقبه . ومن أجل ذلك لا بد من استئذان المسؤولين وأخذ موافقتهم . ووقع الاختيار على خالد ليقوم بهذه المهمة .

ومن حسن الحظ أن القائد العام للرحلة الاستاذ محمد رفعت جواد كان رجلاً واسع الصدر ، يحسن تقدير الظروف . فما كاد يسمع بمشكلة الفرقة ، ويتفهم طبيعة الحساسيات بين بعض أعضائها ، حتى أعلن موافقته مرحباً وقال :

ـ على العكس يا خالد . . إن وجود فينو وسرور وفصيح معنا سيكون مدعاة تسلية وبهجة للجميع . ولا نشترط إلا شيئاً واحداً .

قال خالد والفرح يغمره :

ـ وما هو يا سيدي .

قال الاستاذ جواد متبسماً :

ـ هو أن يلتزم سرور وفصيح جانب الهدوء خلال الرحلة ، وأن يؤجلا خلافاتهما إلى وقت آخر : فالشجار كما تعلم ممنوع عندنا ولو اقتصر على تبادل الشتائم .

قال خالد يطمئن أستاذه :

ـ اطمئن يا سيدي من هذه الناحية ، فسوف يكونان في غاية التهذيب والوقار .

***

وفي مساء يوم الخميس اجتمع شمل الفرقة بكامل أعضائها في منزل المفتش جميل . وقد استقبلوا نبأ موافقة قائد الرحلة بفرحة عارمة . وقال خالد ليزيد في فرحتهم :

ـ وليس ذلك فحسب بل لقد أخذت موافقته أيضاً على أن نأخذ معنا بنادق الصيد .

صاح عصام :

ـ هذا رائع !

وقال وليد :

ـ بل هو أروع من أي شيء آخر .

قالت ليلى معاتبة :

ـ وهل ترى ان صحبة البنادق خير من صحبة فينو وسرور وفصيح ؟

قال يدافع عن نفسه :

ـ يا عزيزتي ، إن البندقية ستقدم لي أرنباً برياً شهياً ، أو ربما غزالاً سميناً . . فماذا باستطاعة هؤلاء أن يقدموا لي ؟

ويظهر أن الحيوانات الثلاثة قد فهمت الإهانة الموجهة إليها ، فإن فينو كشر عن أنيابه وراح يهرّ بصوت مكتوم ، وأما سرور فقد حملق بعينيه في وليد ، وراح يرميه بنظرات السخط التي لم يستطع اخفاءها ، أما فصيح فلم يجد ما يعبر به عن عدم رضاه إلا أن يصيح مردداً :

ـ وليد أرنب . . وليد حمار . .

وقبل أن يرفع وليد يده لتسديد لطمته الى هذا الطائر الوقح كان فصيح قد صار فوق كتف خالد الذي لم يعجبه ما تطورت اليه الأمور ، فقال في حزم :

ـ دعونا من هذه التفاهات الآن ، ولا تفسدوا علينا فرحتنا بمناقشات لا

لزوم لها . . إن ما بقي لدينا من الوقت لا يكاد يكفينا لإعداد لوازم الرحلة .

قالت ليلى موافقة :

ـ هذا صحيح . . هيا إلى إعداد اللوازم . .

ونسي الجميع بسرعة الأزمة العابرة ، وانهمكوا في جمع اللوازم وتفقدها وترتيبها . وبعد أن تم إعداد كل شيء ناموا مبكرين ليوفروا لأنفسهم الراحة والنشاط اللازمين للرحلة المزمعة .

ولم يحتاجوا الى ربط المنبه على ساعة الاستيقاظ المناسبة ، لأن المفتش « جميل » قد تكفل بإيقاظهم وإيصالهم الى المدرسة بسيارته الخاصة .

***

وكما هو مرسوم في المخطط ، فقد تحركت السيارات في تمام الرابعة والنصف صباحاً ، وبعد ربع ساعة من السير داخل شوارع المدينة الخالية ، وصل الموكب إلى ظاهر المدينة ، ثم أخذوا الأوتوستراد باتجاه الشرق .

كانت السيارة التي تركبها الفرقة في المقدمة ، وكان المكلف بالإشراف عليها هي الآنسة « بهية » مدّرسة الرياضيات التي لم يكن في شكلها ما يمت بصلة إلى اسمها ، فوجهها لم يعرف قط « البهاء » وفمها يجهل كل

الجهل شيئاً اسمه الابتسام ، ولكنها مع ذلك كانت طيبة القلب ، صافية النفس ، شديدة الحب والإخلاص لطلبتها .

وما إن اصبحت السيارة خارج المدينة ، وراحت تتهادى في يسر وسهولة فوق أرض الأوتوستراد المنبسطة ، حتى وقفت الآنسة بهية في مقدمة السيارة ، والتفتت بوجهها العابس نحو الطلاب وقالت بصرامتها المعهودة :

ـ أغلقوا النوافذ ، والزموا الهدوء ، ولا يتحرك أحد من مقعده .

وكما هو المنتظر في مثل هذه المناسبات ، فإن الأوامر على الرغم من صرامتها لم تنفذ بالدقة المطلوبة لأن بعضها يتنافى وجو الرحلة المدرسية ، ونعني به أمر التزام الهدوء ، اذ كيف يمكن أن يهدأ ثلاثون طالباً وهم في سيارة لا في قاعة درس ؟ هذا إذا تغاضينا عن وجود سرور وفصيح بينهم ، وهما اللذان لم يعرفا قط معنى الهدوء .

وهكذا ، فلم تكد الآنسة تعود إلى مقعدها وتدير ظهرها ، حتى بدأ اللغط يتصاعد رويداً رويداً ، ثم تحول إلى ضجة اختلطت فيها أصوات المتحدثين بأصوات المغنين والمنشدين . ولم يتقيد بأمر التزام الهدوء إلا واحد فقط ، هو الآنسة بهية نفسها .

وسارت الرحلة سيراً طبيعياً في خطها المرسوم ، ففي تمام السادسة والنصف ، وكانت الشمس قد أشرقت ، وصلوا إلى المحطة التي سيتركون عندها الأوتوستراد ، ويأخذون طريق الصحراء .

وبناء على أوامر قائد الرحلة وقفت السيارات في باحة المحطة ، ونزل الطلاب منها لتناول الإفطار في المقصف التابع لها . وبعد السابعة بدقائق نادى المنادي بالتوجه الى السيارات والصعود اليها لاستئناف الرحلة في مرحلتها الثانية .

وما إن اطمأن المشرفون الى أن كل فرد عاد إلى مقعده حتى صدر الإذن للسائقين بالمسير ، فأشعل هؤلاء محركاتهم ، ثم اتجهوا بسياراتهم في بطء زائد نحو الصحراء ذات المجاهل والأخطار .

وفي سيارة الطليعة التي كانت الفرقة فيها ، جلس الدليل الخبير بالمنطقة الى جانب السائق ، وراح يرشده بحركات يديه التي لم تهدأ الى الاتجاه الصحيح .

لم يعد السير الآن مريحاً كما كان على « الأوتوستراد » ، فعلى الرغم من البطء الشديد كانت السيارة ترتفع وتنخفض بشدة بسبب الحفر والصخور التي كانت تمر فوقها ، بل إنها في مرة من المرات ارتفعت بشدة زائدة فقذفت بالآنسة بهية الى الأعلى ، فارتطم رأسها بعنف في سقف السيارة . وبالطبع فإن الآنسة المبجلة تجاهلت ما حدث ، ولم تبدر منها بادرة تذمر أو شكوى على الرغم من أن إصابتها كانت جسيمة بحيث إن كرة زرقاء في حجم البرتقالة ظهرت فجأة في رأسها .

ومهما يكن من شيء فإن هذه المرحلة من الرحلة لم تخل من شيء من المتعة والفائدة العلمية ، فمناظر الهضاب الصحراوية الجرد ، ووديانها

الجافة ، والسهوب المترامية الأطراف الممتدة إلى نهاية الأفق ، كل أولئك كان شيئاً جديداً على ركاب السيارة راحوا يتأملونه بشغف ، ويحسون له في نفوسهم سحراً غريباً . وكان أشد ما أثار دهشتهم هذه القطعان الضخمة من الغزلان وغيرها من أصناف الحيوان التي كانت تنفر مبتعدة عن طريقهم فزعاً من صوت محركات السيارات . وهكذا ظهر للطلاب بوضوح أن كلمة « الصحراء » لا تعني بالضرورة الأرض الميتة التي لا حياة فيها . فقد يعيش في الصحراء من الحيوان اكثر مما يعيش في المناطق الزراعية نفسها . ولكنها سميت صحراء لعدم صلاحيتها لزراعة المحاصيل التي تصلح لتغذية الإنسان فقط .

وصل الراحلون أخيراً إلى المدينة الأثرية . كانت تلاً لا يزيد ارتفاع قمته على عشرة أمتار . وكانت أعمال التنقيب التي لم تتناول الا جانباً واحداً منه حتى الآن قد كشفت عن بعض طرق المدينة ومبانيها .

وقف الاستاذ نور الدين مدرس التاريخ يشرح للطلبة تاريخ هذه المدينة وحضارتها العريقة ، والقيمة الكبيرة لما اكتشف فيها من كتابات صححت كثيراً من المعلومات التي نعرفها عن التاريخ القديم لهذه المنطقة . وكان الطلبة يصغون الى الاستاذ بكل هدوء وانتباه . وكذلك كان أعضاء الفرقة كلها ، بما فيهم سرور الذي راح ينقل بصره بفضول زائد بين حركات يدي الاستاذ وبين ما كان يشير إليه من معالم المدينة القديمة . والوحيد الذي لم يبد اي اهتمام بالموضوع هو فينو الذي ربض على الأرض الى جانب خالد ، وراح يتثاءب في سأمة وملل .

ولم يطيلوا المكث كثيراً ، فبعد نصف ساعة كانوا في سياراتهم ثانية ، لقطع آخر المراحل في هذه الرحلة .

وقبل خمسة عشر كيلو متراً من وصولهم الى الهدف وهو السد العظيم ، بدأت المناظر الطبيعية تتغير . فقد لاحت في الأفق رؤوس الأشجار الباسقة أولاً ، ثم ظهرت لهم الحقول الفسيحة التي بدت من بعيد سوداء بسبب خضرتها الكثيفة . كما أن الهواء نفسه تبدل ، إذ بدؤوا يحسون بالنسمات الرطبة تداعب خدودهم التي لفحتها من قبل رياح الصحراء الجافة .

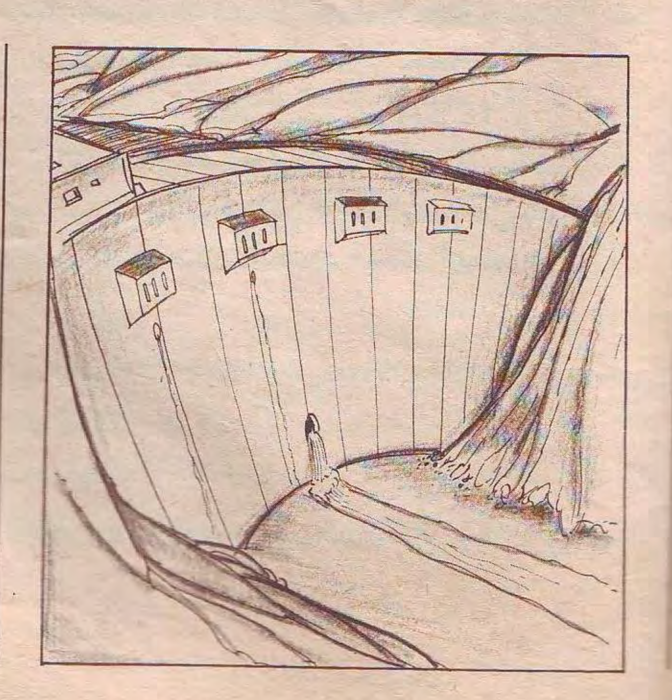
ولم يمض إلا قليل حتى دخلت السيارات منطقة الضفاف المروية بمياه السد ، وراحت تجري في الطرق الزراعية التي تكتنفها الأشجار من الجانبين ، وتتلاقى فروعها في الأعلى مؤلفة أنفاقاً خضراً رائعة الجمال .

وبلغوا السد أخيراً ، فنزلوا من السيارات ، وطافوا بجوانب هذه المنشأة الاقتصادية الضخمة ، وراحوا يتأملون باعتزاز واعجاب ودهشة عظمة ما يمكن أن يحققه الإنسان بالعزم والصدق والاخلاص . ولم ينس قائد الرحلة الاستاذ محمد رفعت جواد أن يقودهم إلى المحطة الكهربائية الضخمة المقامة على السد العظيم .

ورحب مدير المحطة المهندس ظافر مدني بالاستاذ جواد ، وصحبه مع زملائه وطلبته ، فأطلعهم على منشآت المحطة وأجهزتها وآلاتها ، وكان خلال ذلك يشرح لهم عمل كل آلة أوجهاز . وكان أروع ما شاهدوه قاعة

التوربينات الثمانية التي كانت تدور في دوي رهيب مولدة القوة الكهربائية التي تنقلها الأسلاك الى مسافات بعيدة في القطر ، حيث تستهلكها المصانع في إدارة آلاتها .

وبعد خروجهم من المحطة اقترح الاستاذ جواد قائد الرحلة أن يكون الغداء على حدود الصحراء خارج المنطقة الزراعية ، ليأخذ الطلاب كامل حريتهم دون أن يسببوا أي ضرر للحقول الزراعية ومزروعاتها . وهكذا عادوا الى سياراتهم فركبوها ، وانطلقوا في طريق العودة باتجاه الصحراء .



صيد سمين

اختار سائق سيارة الطليعة سهلاً منبسطاً يصلح للنزول ، فأوقف سيارته فيه ، وأشار الى باقي السيارات لتحذوا حذوه ، ثم نزل ونزل ركابه فانتشروا في المكان . وكذلك فعلت السيارات الأخرى ، فامتلأ السهل بالطلاب والطالبات الذين انقسموا جماعات يتحدثون أو يلعبون أو يلتقطون الصور التذكارية لهذه الرحلة الممتعة .

وكان خالد وفرقته يكونون معاً جماعة مستقلة في كل شيء . ولكن استقلالهم لم يكن بقصد الانزواء عن الزملاء والابتعاد عنهم ، بل كان أمراً اضطرهم إليه طبيعة زادهم الذي كان يشتمل على مآكل خاصة بفينو وسرور . لذلك فضلوا أن يكونوا على حدة في أوقات الطعام والراحة .

قالت ليلى :

ـ أخشى أن تكون بنادقكم غير ذات فائدة لكم في هذه البقعة التي لا أرى فيها طيراً يطير أو حيواناً يسير .

قال خالد :

ـ وهل كنت تتوقعين أن تكون الطير فوقنا أسراباً تظللنا من الشمس ؟

أم كنت تتوقعين أن ننزل وسط قطعان الحيوانات البرية ؟

قالت ترد على سخريته :

ـ لم أتوقع هذا ولا ذاك . ولكني لم أر أيضاً مذ جلسنا حتى الآن شيئاً يمكن صيده في هذه الأرض الخالية .

قال خالد يطمئنها ويوضح لها الأمر :

ـ إن حيوانات الصحراء لا تسرح على وجه الأرض كما هو الشأن في المراعي والسهول . بل تختفي في جحورها هرباً من اعدائها أو من حرارة الشمس . ولا تكاد تظهر إلا لحظات قليلة تعود بعدها الى الاختفاء . والصياد في هذه الحالة مضطر الى الانتظار والترقب ، الى أن يلوح له حيوان فيسدد نحوه ويطلق . فإن كان ماهراً ظفر بصيد سمين ، وإلا عاد بخفي حنين .

كان وليد مشغولاً عن هذا الحوار بالتهام طعامه بشهية كبيرة . وكان عصام يرقب مبتسماً ، فقال له :

ـ وليد . . مهلاً ! أخشى أن تأتي على زادنا كله ، فلا نجد ما نأكله بقية الرحلة .

لم يتوقف وليد عن الأكل ، بل أجابه وهو لا يزال يقضم ويمضغ :

ـ الم تسمع بغزلان هذه المنطقة وأرانبها البرية ؟ سنصطاد منها ما يكفي

…عونة . . واعذرني ، فإنا لم أرد الأكل ، ولكنها الصحراء هي التي فتحت شهيتي .

كانت ليلى أول من انتهى من تناول الطعام ، فنهضت لتقوم بنزهة قصيرة فوق التل الذي كان الى جانبهم . وكأن فينو رأى أن واجبه يقضي عليه بمرافقتها في نزهتها ، فترك طعامه ، ومضى يسير إلى جانبها .

قال خالد بإعجاب :

- أرأيتم كيف ترك فينو طعامه ، ولحق بليلى ؟

قال عصام معلقاً على كلامه :

- أنت تعرف كم يحب ليلى ويخاف عليها .

وكأن سروراً كره أن يكون الإطراء كله لفنيو وحده ، فنهض مسرعاً ، ولحق بهما وهو يدب بحذائه على الأرض بصورة مضحكة . وزاد في طرافة منظره حلته الجديدة الحمراء التي كانت ضيقة عليه بعض الشيء ، فجعلت من كل حركة يتحركها صورة هزلية تثير الضحك ، ولكنه لم يكترث لذلك ، وسار حتى لحق بليلى ، وأمسك بيدها ، ثم التفت نحوهم في حركة استعراضية كأنه يذكرهم بوجوده .

وصلت ليلى إلى قمة الربوة ، فلوحت لهم بيدها ، ثم ألقت ببصرها إلى الأفق من الجهة الأخرى حيث كان النهر يبدو كشريط أزرق يتلوى في السهول ، ويختفي هنا وهناك خلف الاشجار الكثيفة .

وفجأة لمحت عدة أرانب برية تتقافز عند سفح التل الصغير ، فالتفتت بسرعة الى رفاقها وصرخت :

- أسرعوا . . هنا أرانب برية . .

اختطفوا بنادقهم في لمح البصر ، واسرعوا نحو قمة التل .

كان فينو حين رأى الأرانب قد اندفع كالقذيفة نحوها يطاردها ، ففزعت وولت هاربة في كل اتجاه . فلما وصل الرفاق ببنادقهم الى قمة التل لم يجدوا امامهم ما يمكن أن يطلقوا عليه نيرانهم إلا أرنباً واحداً استطاع فينو أن يضيق عليه الخناق ويتركه قريباً منهم . فرفعوا بنادقهم إلى اكتافهم ، واطلقوا ، فأصابوا منه مقتلاً ، وخر الأرنب المسكين مضرجاً بدمائه .

واسرع فينو فالتقطه بفمه ، وجاء به فألقاه أمام خالد . وحين فحصه تبين أنه لم يصب إلا بطلق واحد . فمن الذي أصابه من بين الرماة الثلاثة ؟

لا أحد يدري حتى الآن . وعلى الرغم من الجدال العنيف الذي ثار حول هذه القضية فقد ظل كل رام يصر على أنه هو الذي أصابه . بل لقد ظلت هذه القضية مثار جدل بينهم مدة أشهر بعد انقضاء الرحلة .

عاصفة مفاجئة

في طريق العودة كانت السيارة التي يستقلونها آخر السيارات ، فقد سارت السيارات الأخرى قبلها ، وصوت الأغاني والأناشيد الجماعية التي ينشدونها كانت تقطع صمت الصحراء الكئيب .

ولم يمض على مسيرهم ساعة أو بعض ساعة حتى اربدّ الأفق واكفهرّ الجو ، وتلبدت السحب الدكناء في السماء ، وهبت عليهم نسمات رطبة باردة .

والتفت الدليل الذي كان يجلس الى جانب السائق فهمس شيئاً في أذن الآنسة بهية التي كانت تجلس خلفه ، فقامت هذه من مقعدها ، واستدارت نحو الطلاب وقالت :

ـ اغلقوا النوافذ ؛ إن العاصفة وشيكة .

ولم يكن الطلاب في حاجة إلى هذا الانذار ، فإن كل شيء كان ينذر بهبوب عاصفة هوجاء . فاغلقوا النوافذ ، وراحوا يتدثرون بما جلبوا معهم من ملابس احتياطية .

وأبرقت السماء ، ثم أرعدت ، ثم انفتحت أبوابها بمطر غزير

مصحوب بالبَرد الذي كان يضرب زجاج النوافذ بقوة خشي معها الجميع أن يتحطم .

قال السائق بعد أن أخذ تعليماته من الدليل :

ـ يجب أن نلجأ الى ربوة عالية تعصمنا من السيل الذي سيكتسح الوديان كلها بعد قليل .

وأدار مقدمة السيارة نحو ربوة مرتفعة ، وراح يتسلقها ببطء ، فلما صارت السيارة فوقها تماماً أوقفها ، ثم أطفأ المحرك ، وراح يطلق بوقه لينبه بقية السيارات على الخطر القادم ، ولكن المطر الغزير ، وصوت الرعد الذي كان يقصف بشدة ، حالا دون سماع صوت بوقه .

وبعد لحظات كانت السيارات المتقدمة قد ابتلعها الظلام وغابت عن الأنظار .

ويبدو أن ما حدث كان فرصة للآنسة بهية لكي تمارس هوايتها في فن القيادة ، إذ نهضت مرة أخرى ، واستدارت نحو الطلاب ، وقالت بلهجة عسكرية رصينة :

ـ قد نضطر الى التوقف بعض الوقت حتى تسكن هذه العاصفة المفاجئة .. أحب أن تلزموا الهدوء ، وتواجهوا الموقف الطارىء بشجاعة .. !

وقصف الرعد قصفة منكرة ، وعصفت الريح بشدة ، فاهتزت

السيارة بعنف ، فسقطت الآنسة بهية قبل أن تتم خطبتها العسكرية العصماء . وبسبب انشغال الجميع بمراقبة العاصفة في الخارج لم يستطع أحد أن يعرف مدى الخسائر التي منيت بها الآنسة من جراء هذه السقطة القاسية ، ومن المؤكد أنها كانت خسائر جسيمة ، لأن الآنسة لم تفكر بعدها باتمام خطبتها التي بدأت رائعة .

ومر نصف ساعة والموقف يزداد كآبة ورهبة . وفجأة سمعوا صوت هدير رهيب مقبل نحوهم من طرف الوادي . فنظروا خلفهم وقد استبد الرعب بهم ، فشاهدوا على ضوء البرق الذي كان يلتمع بصورة مستمرة موجة سيل هائلة تندفع بقوة وبسرعة في اتجاه بطن الوادي وهي تجرف في طريقها كل ما تصادفه من أحجار وجلاميد وصخور .

قالت الآنسة بهية للسائق وقد استعادت رباطة جأشها بعد سقطتها الظالمة :

- أرجو أن يكون باقي السائقين قد فعلوا فعلك . .

أجاب السائق والقلق بادٍ على وجهه :

- أرجو ذلك . وإلا يكونوا قد تعرضوا لكارثة رهيبة .

ونظرت ليلى إلى السيل الهادر الذي كان يزداد شراسة ووحشية ، وقالت :

- ترى ، إلى متى ستستمر هذه الحال ؟ إن أعصابي تتمزق بعنف . !

ضغط عصام على يدها مشجعاً ، وقال :

- ستنتهي فجأة كما بدأت . ولا داعي للقلق . فنحن في أمان والحمد لله . ولا خطر علينا ما دمنا في هذا المكان المرتفع .

وتدخل خالد في الحديث محاولاً إزالة بعض الكآبة التي سيطرت على الجو :

- إنها المرة الأولى التي أجد فيها ليلى الشجاعة خائفة من زوبعة .

قالت ليلى معاتبة :

- زوبعة ؟

قال خالد ساخراً :

- وماذا تكون إذن ؟ على كل حال هي فرصة نادرة لنشاهد بأم العين إحدى ثورات الطبيعة مما لا يتيسرلنا مشاهدته في مكان آخر .

كان وليد في شغل عن الجميع بغسل يديه الملوثتين بدم الأرنب . وبعد أن أتم غسلهما عبر نافذة السيارة بمياه الأمطار الهاطلة في الخارج ، أدخلهما وأغلق النافذة ثانية ، وأمسك بمنشفة وراح يجففهما في سعادة وانشراح . فلما انتهى من ذلك رمى بالمنشفة على ظهر المقعد ، وأقبل على رفاقه يقول :

- ما هذا الصمت الكئيب . . ؟ هيا اسمعونا بعض الأناشيد .

ولكن يبدو أن اقتراحه لم يلق قبولاً من أحد ، إذ تطلعت إليه العيون في صمت وهي تكاد تنطق بالذعر ، فعاد يقول :

ـ ماذا أصابكم ؟ أراكم جميعاً مصفري الوجوه يكاد الخوف يقضي عليكم .

كان أول الناطقين فصيح الذي راح يردد في صوت مرتعش :

ـ فصيح خائف . . فصيح خائف . .

أما سرور فكان ملتصقاً بخالد وقد تجهم وجهه ، وكأنه كان يدرك الخطر الذي كان يهددهم ، ويزداد اقتراباً منهم كلما استمر هطول الأمطار ، وارتفع مستوى السيل الجارف .

قال خالد بهدوء غريب :

لا داعي مطلقاً لهذا القلق . صدقوني ستمر العاصفة بسلام ، فهذه هي طبيعة العواصف في البادية دائماً .

وكأن الطبيعة لم تشأ أن يصدقوه ، فلمع البرق لمعة قوية وطويلة ، ثم تلاه الرعد بقصفة مدوية خيّل معها للجميع أن السماء تتمزق بعنف ، وأن الجبال تتكسر وتنهار ، وزلزلت السيارة بمن فيها زلزالاً قوياً ، حتى إن الآنسة بهية لم تستطع أن تكتم صرخة فزع ندت عن صدرها . ومن حسن الحظ أن صرختها الخائفة لم يسمعها أحد ، لأنها ضاعت في غمرة صيحات الفزع التي تعالت من الطالبات في كل مكان من السيارة .

وانحنت القائدة الفزعة نحو السائق وقالت له :

ـ ماذا نستطيع أن نفعل ؟

فأجاب السائق الذي لم يكن أقل منها قلقاً :

ـ لا شيء سوى الانتظار والترقب ، وإذا لم تهدأ العاصفة قبل حلول المساء فأخشى أن نضطر الى قضاء الليل ههنا . .

وسمعته طالبة كانت تجلس خلفه بجانب الآنسة فصرخت في فزع ، ثم اندفعت تبكي بجنون هستيري . وفعلت سائر الطالبات فعلها ، فتحولت السيارة الى مناحة مثيرة للأعصاب لم تنفع معها صرخات السائق الغاضبة الآمرة بالهدوء وعدم الاستسلام للخوف الذي لا لزوم له .

ورأت الآنسة بهية في أوامر السائق تدخلاً منه في شؤونها الداخلية ، ومساساً لا يمكن التغاضي عنه بسيادتها وسلطتها على رعيتها ، فقالت له في صرامة :

ـ أرجو ان تهتم أنت بسيارتك ، ودع أمر الطلاب لي .

ورأت أنها اذا لم تسيطر بسرعة على الموقف فقد يفلت الزمام من يدها . فاستدارت نحو الطالبات . وشدت قامتها ، وعبست وقالت :

ـ يا بناتي . . إنكنّ . .

ولم تتم ما كانت تريد قوله ، إذ زأر الرعد زئيراً مخيفاً ، واهتزت السيارة بشدة ، فسقطت في حجر الطالبة التي كانت تنتحب بجوارها ، وتدحرجت الاثنتان في الممر بين المقاعد .

وعندما رأى سرور الخبيث ما حل بالآنسة المسكينة انفجر يقهقه في

جذل وقد زايله خوفه ، وسرت عدوى القهقهة منه إلى من حوله أولاً ، ثم إلى كل من كان بالسيارة من طلاب وطالبات . ولو لم تسارع الآنسة بهية بالنهوض ، واستعادة هيئتها الصارمة ، لانقلب المشهد المثير للشفقة الى مهزلة حقيقية . وهكذا كان لسقطة الخطيبة المفوهة من الأثر المجدي في تهدئة الموقف اكثر مما كان متوقعاً لخطبتها البتراء .

واشتد الظلام ، فاشعل السائق مصابيح السيارة الداخلية . ونظر خالد الى ساعة يده ، فرآها قد تجاوزت السابعة بقليل .

وتذكر السائق وهو يشعل مصابيح السيارة أنه قد يكون للراديو فائدة في إزالة شيء من الوحشة التي سيطرت على الجو ، فاشعله فتعالت منه أصوات موسيقا ناعمة كان يفسدها الأصوات الطفيلية المتحشرجة التي كان يولدها البرق في لمعاته المتعاقبة .

ومضى الوقت بطيئاً مملاً . والمطر لا يزال يهطل بشدة ، والبرق والرعد لا يكادان يتوقفان . وكان خالد لا يفتأ ينظر بين الفينة والفينة الى ساعته . وكانت الساعة آخر مرة تشير الى الثامنة والنصف .

وفجأة توقف كل شيء كما بدأ ، فقد انقطع المطر ، وهدأت الريح ، وأصحت السماء ، حتى لقد استطاع خالد ان يرى النجوم تتلألأ كما لو كانت في ليلة صيف صافية .

تنهدت الآنسة بهية بارتياح وقالت تخاطب السائق :

ـ أظن أننا نستطيع استئناف السير بعد أن هدأت العاصفة .

قال السائق بلهجة الواثق بنفسه وكلامه :

ـ لا يا سيدتي . . إن الليلة مظلمة ، والطريق غير واضحة للدليل ، والوديان قد امتلأت بأوحال السيول ولن نسير بضعة امتار حتى تنغرز عجلات السيارة في الطين ويستحيل التقدم والتراجع عند ذلك .

قالت الآنسة وقد استبد بها القلق :

ـ وما العمل إذن ؟

أجاب السائق :

ـ ليس أمامنا إلا المبيت هنا . ونرجو في الصباح أن تساعد أشعة الشمس على تجفيف الوديان ليمكن السير فيها .

وسكتت الآنسة مضطرة ، فساد السكون ، وخلت السيارة من أي صوت إلا صوت الراديو الذي كان يرسل انغامه الصافية الهادئة التي لم يعد البرق يفسدها بلمعانه المتواصل .

وساعد السكون والموسيقى الهادئة الناعمة على تهدئة الأعصاب المجهدة ، فدبّ النعاس الى الجفون ، وغفا بعضهم ، واستسلم آخرون الى النوم العميق وقد اسندوا رؤوسهم الى ظهور المقاعد . بل إن الآنسة بهية نفسها راحت تغط غطيطاً منكراً كان تشويشه على الموسيقى اشد من تشويش البرق نفسه .

وشعر السائق الذي ظل وحده يقظان أن البرد زادت شدته ، فأدار

محرك السيارة واشعل مكيّف الهواء ، وبعد قليل بدأت النسمات الدافئة تنبعث من فتحاته ، وتسري في جو السيارة الذي كاد يهرأ العظام ببرده القارس .

ولما رأى السائق أن جميع من في السيارة قد استسلموا الى النوم ، أطفأ المصابيح وشد سترته على نفسه ، ثم عقد ذراعيه فوق صدره ، واسند رأسه الى المقعد ، وأغمض عينيه ، ولم تمض لحظات حتى كان يغط في نوم عميق .

ومضى على ذلك ساعتان لم يكن يسمع خلالهما سوى غطيط النائمين .

وفجأة شق السكون صرخة فزع حادة رهيبة انبعثت من احدى الطالبات . فلم يبق أحد في السيارة إلا استيقظ مذعوراً يسأل : ما الخبر ؟

أشعل السائق المصابيح ليتبينوا حقيقة الأمر ، فشاهدوا إحدى الطالبات الجالسات في مؤخرة السيارة تدفن وجهها في صدر الطالب الجالس الى جانبها وهي تصيح وترتجف في خوف قاتل كاد يهز بدنها هزاً عنيفاً .

أسرع خالد إليها، وتبعته ليلى ، ثم لحقت بهما الآنسة بهية ، وحاول الثلاثة تهدئة الفتاة المذعورة ليعلموا منها سبب ذعرها ، ولكنهم اخفقوا ، فقد كانت المسكينة في حالة هستيرية من الفزع الطاغي لا ينفع معها شيء . وظلت تدفن وجهها في صدر جارها كأنها تخشى اذا رفعته ان

ترى الشيء الذي أفزعها ، وظل جسدها ينتفض بشدة أثارت شفقة كل من كان ينظر اليها .

وبينما كان خالد يفكر في وسيلة تعيد الى الفتاة هدوءها ، سمع صوت خربشة على الزجاج الذي كان الى جوار الفتاة ، فالتفت لينظر الى مصدر الصوت ، فرأى ما جعل الدم يتجمد في عروقه ، وأدرك في لمح البصر سر الفزع الهستيري الذي استولى على الفتاة .

كان هناك ذئب ضخم قد انتصب على قائمتيه الخلفيتين ، واستند بقائمتيه الاماميتين على زجاج النافذة ، وراح يتشمم بأنفه أطراف النافذة ، وقد كشر عن أنيابه الرهيبة ، وعيناه تقدحان بالشرر ، وهما ترمقان ركاب السيارة في شراسة مرعبة .

اسرع خالد الى مقعده وعاد وبيده مصاحبة الكهربائي ، فاشعله ووجهه الى وجه الذئب الذي ما كاد النور يسطع في عينه حتى تخلى عن النافذة . وابتعد عنها بضع خطوات وراح يدور في مكانه وهو يهر هريراً يبعث القشعريرة في أشجع الشجعان .

قال خالد يخاطب الآنسة بهية :

- أرى أن نحمل المسكينة الى مقعد بعيد عن النوافذ حتى لا ترى هذه المناظر المفزعة .

وافقت المدّرسة على اقتراحه ، فحملوا الفتاة التي كانت لا تزال تنتفض من الرعب ، واجلسوها في الصف الأمامي ، واحاطت بها

الطالبات يواسينها ويحاولن تهدئة أعصابها المنهارة .

قال خالد وقد ألصق وجهه بزجاج النافذة محاولاً أن يخترق ببصره حجب الظلام :

ـ اذا كان ذئباً واحداً فليس في الأمر ما يدعو الى القلق .

ولكنه ما كاد يتم كلامه حتى سمع الجميع عواء ذئب يتعالى من بعيد ، ثم تلاه عواء ذئب ثانٍ ، فثالث . ثم راحت الذئاب تتعاوى من كل ناحية .

وأقبل السائق وقد امتقع لونه من الخوف . وراح يتبادل النظرات القلقة الصامتة مع خالد والمدرسة .

قال خالد يطمئن المدرسة التي كانت ترتعد من قمة رأسها الى أخمص قدميها :

ـ ان معنا ثلاث بنادق نستطيع الدفاع بها عن أنفسنا . ولكن لا ينبغي أن نضع أملنا كله فيها ، فهي بنادق صيد محدودة القدرة ، ثم ان ما معنا من الذخيرة لا يكفي اذا طالت المعركة بيننا وبين قطيع الذئاب الذي يبدو من أصوات أفراده انه كثيف العدد .

قالت الآنسة بهية وهي تحاول ان تطمئن نفسها ومن حولها :

ـ لا . لا . يا خالد إنها مجرد ذئاب عابرة اتفق أن كانت سيارتنا في طريقها ولا تلبث ان تمضي في سبيلها بسلام .

قال الدليل الذي انضم الآن الى مجلس أركان السيارة :

ـ لا أظن أن الأمر كذلك يا سيدتي . . إن هذه الذئاب لا تخرج في قطعان الا اذا كانت في أشد حالات الجوع . وفي هذه الحالة لا تتورع عن مهاجمة القرى والمدن الصغيرة .

قالت المدرسة وقد زادتها كلمات الدليل فزعاً على فزع :

ـ أرجوك أيها السيد ، لا تحاول إفزاعنا . . يكفينا ما أصابنا حتى الآن من هذه الرحلة المشؤومة .

قال الدليل في برود :

ـ أنا لا أحاول إفزاعك يا سيدتي . . ولكني أريد فقط أن تدركي حقيقة الخطر الذي يحيط بنا .

قال وليد وهو لا يفهم سبباً لهذا القلق الذي استبد بالجميع :

ـ عجباً لكم . ! ماذا تخشون من حيوانات لا تكاد تختلف عن الكلاب الشاردة ؟

قال السائق يرد عليه :

ـ يظهر ايها الشاب انك تجهل ما معنى « ذئب جائع » . . انه يبدو لك في منظره ككلب ، ولكنه في شراسته وجرأته اخطر من الأسد والنمر .

قال وليد وهو لا يزال حائراً لا يفقه سبب ذعرهم :

ـ ليكن الذئب الجائع ما يكون ، فما الذي نخشاه ما دمنا داخل هذه السيارة المغلقة ؟

قالت المدرسة وقد وجدت في كلمات وليد ما بعث في نفسها الأمل ، وخفف بعض الفزع الذي شل تفكيرها :

ـ نعم . نعم . ما الذي نخشاه ؟ هل بإمكان الذئاب ان تفتح علينا أبواب السيارة ؟ ثم أليس زجاج النوافذ قوياً بالقدر الكافي الذي يحمينا من هجماتها ؟ أعتقد أن . . .

وقطع عليها الكلام عواء ذئب انبعث قريباً منهم ، فصمت الجميع وقد سرت القشعريرة في أوصالهم ، وراح بعضهم ينظر الى بعض في خوف ووجوم .

وعوى ذئب آخر ، فتصايحت الفتيات في هلع .

قال خالد موجهاً حديثه الى ليلى :

ـ ليلى . . إذهبي الى الفتيات وحاولي تهدئتهن وبث شيء من الشجاعة في قلوبهن .

ولما مضت ليلى الى مقدمة السيارة التفت خالد الى السائق وقال له : ـ ما مدى مقاومة زجاج سيارتك ؟

أجاب السائق :

ـ لا أنكر أنه من الزجاج المقاوم جداً ، وأنه يصمد حتى للحجارة الكبيرة اذا قذف بها . ولكن الحجارة شيء ، وأنياب الذئب شيء آخر . .

قال خالد يستفسر :

ـ ما معنى ذلك ؟

أجاب السائق :

ـ ان أنياب الذئاب أنفذ من رصاص البنادق . ويستطيع الذئب اذا ضرب بنابه في الحديد أن يخرقه . لقد حدث هذا معي ذات ليلة . . كنت أقود شاحنة في الصحراء في ليلة مقمرة . وأدركني النعاس فأوقفت السيارة ، ورفعت زجاج نافذتيها ونمت . ثم صحوت على اصوات طرق على باب السيارة ، فنظرت من النافذة فرأيت تحت ضوء القمر حولي عشرة ذئاب تهاجم السيارة من جانبيها ، وأقبل احدها فضرب بنابه في حديد الباب فشقه ، ولولا انني اشعلت المحرك ووليت هارباً بأقصى سرعة لكنت طعمة للذئاب في تلك الليلة اللعينة .

وقبل ان يعلق أحد بشيء على حكاية السائق صاحت ليلى من مقدمة السيارة تقول :

ـ اصمتوا جميعاً أرجوكم .

ومالت من فوق ظهر المقعد نحو لوح القيادة في السيارة ، فأدارت زر الصوت في الراديو فارتفع صوته قوياً مسموعاً للجميع .

والتفتت اليهم وقالت تجيب عن السؤال الذي دار في خلد كل منهم دون أن ينطق به :

ـ لقد وعد المذيع بإذاعة بيان مهم صادر عن مديرية الشرطة بعد قليل . وقلبي يحدثني أنه بيان يتعلق بنا .

نظر خالد في ساعته وقال :

ـ معقــول جداً . . إن الليل قد انتصف ، ولا بد أن أهالينـا قد

استبطؤوا عودتنا فاتصلوا بالشرطة لتقوم بالبحث عنا .

ولم يكد يتم كلامه حتى توقف صوت الموسيقى ، وانبعث صوت المذيع يقول :

« اعزائي المستمعين ، جاءنا من مديرية الشرطة في المحافظة الشمالية ما يلي :

« أبلغنا مدير مدرسة الشبيبة الثانوية المختلطة أن مائة وعشرين من طلاب المدرسة وطالباتها قاموا صباح اليوم ، يصحبهم عدد من أساتذتهم للإشراف عليهم ، برحلة في أربع سيارات كبيرة الى السد عن طريق البادية ، وأن السيارات لم ترجع في الساعة العاشرة من مساء اليوم كما كان مرسوماً لها في مخطط الرحلة . ويخشى ان يكون الطلاب قد تعرضوا لمكروه . ويقول إن أولياء الطلبة يتصلون به باستمرار معربين عن قلقهم لتأخر اولادهم الذي يثير مخاوفهم .

« ولدى الاتصال بالمخافر الواقعة على خط سير الرحلة لم يفدنا احد بأي شيء يشير الى مكان وجود السيارات المفقودة ، ولا بمرورها في طريق عودتها ، ولكن حرس البادية أفاد بأن عاصفة رعدية ، وأمطاراً غزيرة ، اجتاحت البادية عصر هذا اليوم وصدراً من الليل ، مما يعتقد معه أن السيارات لا تزال في البادية تحاصرها السيول ، أو أنها ضلت طريقها وسط العاصفة والأمطار والظلام .

« لذا يرجى من سكان القرى والمدن الواقعة على حدود البادية الاتصال

بأقرب مخفر منهم للإبلاغ عن أي شيء يعرفونه ، أو يتيسر لهم معرفته بعد سماع هذا البلاغ ، مما يمكن ان يساعد على العثور على ركاب السيارات المفقودة .

« هذا ، وإن مديرية الشرطة للمنطقة الشمالية ، اذ تدعو أهالي الطلبة المفقودين الى الإخلاد الى الهدوء ، ووضع ثقتهم بشرطتهم . لتؤكد لهم أنها ماضية في بذل كل الجهود للعثور على أبنائهم وإعادتهم اليهم سالمين .

« انتهى نص البلاغ » .

كان لهذا البلاغ فعل السحر في نفوس أهل السيارة المحاصرة ، فقد زال التجهم الذي عرا وجوههم ثماني ساعات متواصلة ، واستبشروا خيراً ، ودبت الحماسة في نفوسهم ، بل إن بعضهم ظل يصفق بعد سماع البلاغ حتى التهبت يداه من التصفيق .

قالت الآنسة بهية وقد استعادت شيئاً من رباطة جأشها :

ـ أرجو أن يكون فيما سمعتم ما . . .

وقطع عليها كلامها عواء ذئب حاد ، فسكتت واجمة ، وراحت تتبادل نظرات القلق مع أركان حربها من السائق والدليل وبعض الطلبة .

قال السائق :

ـ أخشى أن تأكلنا الذئاب قبل أن يعثروا علينا .

ووافقه الدليل بقوله :

ـ إن البحث عنا لن يكون مستطاعاً قبل الفجر . ولكن الوقت يكون قد فات .

وأزالت هذه الكلمات ما كان قد تجدد من أمل الآنسة بهية ، وعاد العبوس والتجهم يرتسمان على قسمات وجهها المضحكة والمثيرة للشفقة في وقت واحد . فقال خالد محاولاً التخفيف من حدة خيبة الأمل عليها :

ـ لا شك أن الشرطة تملك من الوسائل ما يجعلها في غنى عن انتظار ضوء الصباح للبدء بعملية البحث .

قالت الآنسة بهية في لهفة ظاهرة :

ـ مثل ماذا ؟ مثل ماذا ؟ آه .. لقد تذكرت .. إن أباك مفتش في الشرطة .. أليس كذلك ؟ .. أنك تعرف ولا شك ماذا عند الشرطة لعمله في مثل هذه الظروف ..

قال خالد يطمئنها :

ـ إن طائرات الهيلوكبتر هي خير ما عندهم لمثل هذه الحالات .. فهم يستعملونها في مطاردة المهربين والكشف عن مسالكهم في شعاب الجبال ، كما يستعملونها في عمليات الانقاذ عندما لا تستطيع السيارات الوصول الى المكان المطلوب ، او عندما يتطلب الأمر سرعة زائدة في الوصول .

صاحت الآنسة بهية في جذل واستبشار :

ـ عظيم ! عظيم ! لا بد أن هذه الطائرات تحلق الآن في جو الصحراء باحثة عنا ..

قال السائق الذي لم يفارقه يأسه :

ـ وماذا تستطيع هذه الطائرات ان تفعله في مثل هذا الظلام الدامس ؟ حتى الرادار نفسه لا يستطيع الكشف عن مكاننا .

وتعالى عواء الذئاب في هذه اللحظة من كل مكان ، فتصايحت الفتيات مذعورات ، وامتقع وجه الآنسة بهية ، فزاده الامتقاع بهاء على بهائه . وقال عصام باستغراب :

ـ عجيب أمر هذه الذئاب ! إنها تكتفي بالعواء دون الهجوم .. ألا يعني هذا أنها من غير النوع الشرس الذي تحدثتم عنه ؟

أجاب الدليل شارحاً :

ـ لا يا بني .. إن الذئاب كلها من طبيعة واحدة .. أما لماذا لم تهاجمنا حتى الآن ، فلأنها رأتنا كثيرين ومتيقظين لها .. وهي في هذه الحالة لا تهاجم الا بعد أن يجتمع منها عدد كبير . وما هذا العواء المتكرر الا دعوة لأبناء جنسها للتجمع والإعداد للهجوم الذي لن يتأخر كثيراً .

أشعل خالد مصباحه الكهربائي ووجه نوره الى الخارج ، فاستطاع ان يرى في دائرة الضوء التي لم تكن واسعة جداً خمسة ذئاب مقعية على قوائمها الخلفية وهي تحدق النظر بعيون تلتمع كأنها قطع ملتهبة من الجمر . وأجال نور مصباحه هنا وهناك فكان لا يقع الا على ذئاب مكشرة ، وأخرى عاوية ..

قال موجهاً كلامه الى السائق والدليل :

لابد إذن أن نفعل شيئاً لمواجهة الهجوم المنتظر .

قال الدليل مستسلماً :

وماذا نستطيع ان نفعل يا بني غير الدعاء وتسليم أمرنا لله .

قال وليد محتجاً :

ـ لا . لا . إن الدعاء ليس وحده سلاحاً مجدياً . . علينا أن نفكر في شيء نعمله لانقاذ أنفسنا ومن معنا . . إضافة إلى الدعاء .

وتعالى عواء الذئاب الآن ، وأصبح متصلاً بعد أن كان متقطعاً .

وأدرك خالد أن الموقف يزداد حراجة لحظة بعد أخرى ، وأن الدقائق القليلة القادمة ثمينة لا يجوز التفريط بها ، فإذا لم يفعلوا خلالها شيئاً أضاعوا آخر فرصة لهم للبقاء على قيد الحياة .

وقدر الموقف فوجد أنه الوحيد من بين أهل السيارة المرشح لقيادة الجماعة نحو النجاة ، فالآنسة بهية قد شل الجزع تفكيرها وجعلها في حالة لا يرجى معها اي نفع منها ، والدليل إنسان جاهل خائر العزيمة مستسلم للقضاء والقدر ، قد انحصر تفكيره في ارتقاب معجزة تهبط عليه من السماء ، وأما السائق أخيراً فهو لا يقل عن الدليل جهلاً واستسلاماً وخوراً في العزيمة . وإذن فإن عليه ألاّ يعتمد إلا على نفسه أولاً ، وعلى أعضاء فرقته ثانياً ، وعلى من يمكن الاستعانة به من الطلاب ثالثاً .

وكان عليه أن يعمل بسرعة قصوى قبل فوات الاوان ، فالتفت الى وليد وعصام وقال لهما :

ـ اجمعا الطالبات ثم وزّعاهن على المقاعد الداخلية لحمايتهن ، واجعلا الطلاب على المقاعد الملاصقة للنوافذ . واتركا الممر خالياً تماماً من أي

شيء لتسهيل الحركة فيه اذا اقتضى الأمر تنقل احدنا من مكان الى آخر .

وبينما ذهب وليد وعصام لإنفاذ أوامره الصارمة والسريعة ، التفت الى السائق وقال له :

ـ ماذا عندك في السيارة من آلات وأدوات يمكن استعمالها كأسلحة للدفاع ؟

أجاب السائق قائلاً :

ـ عندي صندوق العدة ، وهو يحتوي على عدد لا بأس به من المفكات . .

قالد خالد :

ـ جيد . . يمكنك أن تأتينا بهذه المفكات فربما كان فيها بعض الفائدة .

ثم التفت الى الآنسة بهية وقال لها :

ـ أرجو يا آنستي أن تتجولي في الممر وتحاولي بث شيء من الشجاعة في نفوس الطالبات وتمنعيهن من الصياح والبكاء لنتفرغ نحن والطلاب للدفاع عن السيارة .

امتثلت الآنسة بهية لأمر تلميذها في استسلام كما لو كانت هي التلميذة ، بينما التفت خالد الى الدليل وقال له :

ـ أما أنت والسائق فيمكنكما العودة الى مقعديكما في مقدمة السيارة ، والبقاء على أهبة الاستعداد لتنفيذ ما أطلبه منكما .

بعد خمس دقائق كان كل فرد من ركاب السيارة في المكان الذي خصصه له خالد . وأقبل عصام ووليد فقالا :

- كل شخص في مكانه الآن ، فماذا نفعل ؟

أجاب خالد موجها حديثه الى عصام :

- اجمع من الطلاب والطالبات كل ما يمكن ان يكونوا قد حملوه معهم من مصابيح كهربائية يدوية ، ثم وزع ما يجتمع لك منها على الطلاب الجالسين الى جوار النوافذ ، وكذلك افعل بالمفكات الحديدية التي سيحملها اليك السائق .

وحين مضى عصام الى انفاذ الأوامر الجديدة التفت خالد إلى وليد وقال له :

- اخرج بنادق الصيد التي عندنا ، وكل ما حملناه من صناديق الذخيرة ، وضعها مفتوحة على المقعد لتكون صالحة للإستعمال في أية لحظة ، كما يمكنك أن تقيم فينو على النافذة المجاورة لمقعدنا من أجل الدفاع عنها .

وأسرع وليد لتنفيذ الأمر وقد تحركت فيه غريزة القتال ، بينما راح خالد يتفقد ركاب السيارة من أولها إلى آخرها ليطمئن الى ان كل شيء في موضعه ، وأن أوامره قد نفذت بالدقة المطلوبة .

وبعد لحظات عاد وليد ومعه ثلاث بنادق محشوة ، فأخذ خالد واحدة منها ، وترك الثانية مع وليد ، أما الثالثة فدفع بها الى عصام الذي عاد لتوه من مهمته لتلقي الأوامر الجديدة .

واقبلت ليلى في هذه اللحظة للمشاركة في العمل فقال لها خالد :

- ليلى . . كوني مع الآنسة بهية وساعديها في مهمتها . . وحاولي ان تضربي للطالبات المثل في الشجاعة وتمالك الأعصاب ، فلعلهن إذا رأينك لا تهابين أن يتأسين بك وتثوب اليهن نفوسهن التي جزعت وطارت من الخوف .

بعد أن اطمأن خالد الى أن الجميع أصبحوا على استعداد تام للعمل ، مضى في هدوء الى مقدمة السيارة ، ثم وقف واستدار ليواجه الطلاب والطالبات جميعاً .

كان عواء الذئاب لا يزال يتعالى في الخارج ويزداد حدة ونكراً .

ووقف خالد يجيل نظره في الجميع ولا يقول شيئاً ، كأنه يحاول أن يجد الكلمات المناسبة لهذا الموقف العصيب . أو كأنه يتساءل في نفسه عن مدى قدرة هؤلاء الفتيان الذين لم تعركهم التجارب على القيام بما سيلقيه على كواهلهم الغضة من مهمات وتبعات .

وبعد أن رأى الأنظار كلها مشدودة اليه ، تنحنح قليلاً ثم قال :

- أيها الرفاق والرفيقات ، لا أريد أن أبث فيكم ذعراً اكثر مما انبث فيها حتى الآن . ولكني أيضاً لا اريد أن أخدعكم عن واقعكم ، ولا أن أدفعكم الى التعلق بآمال كاذبة لا تغني عن الحق شيئاً . إن الخطر محدق بنا من كل جانب . ونحن مضطرون بعد قليل الى خوض معركة لا سلاح لنا فيها سوى رباطة الجأش ومتانة الأعصاب .

طبيعي أننا لن نبدأ المعركة من جانبنا . بل سنكون جد سعداء ومحظوظين اذا اكتفت الذئاب بالعواء كما فعلت حتى الآن ولم تهاجمنا . ولكن إذا هاجمتنا ـ وهذا ما اظن انها ستفعله بعد قليل ـ فإن علينا ان نعمل ، وأن نعمل بكل هدوء وحزم .

إن أشد ما يخشاه الذئب هو أن يقع النور القوي الباهر في عينيه ، فعلى كل من معه مصباح كهربائي أن يشعل مصباحه ويوجهه نحو عيني الذئب عند مهاجمته له . أما الذي لا يحمل مصباحاً ، فباستطاعته ان يستعين بمصباح جاره الذي أمامه أو الذي خلفه . أما الذين وزعت عليهم المفكات الحديدية فعليهم أن يقوموا بالطرق بها على صاج السيارة الحديدي ، فان الذئاب تفزع من أصوات القعقعة القوية .

وعلى كلٍ فنحن في حماية قوية ما دام زجاج النوافذ صامداً أمام هجمات الذئاب . ولكن اذا حدث ـ لا سمح الله ـ ان انهارت احدى النوافذ نتيجة ضربة قوية من أنياب أحد الذئاب ، فإننا ـ انا ووليد وعصام ـ سنكون جاهزين لسد الثغرة ببنادقنا ، ولن نسمح لأي ذئب أن ينفذ الى داخل السيارة .

الساعة الآن تقترب من الواحدة بعد منتصف الليل ، واذا استطعنا الصمود حتى الخامسة صباحاً فإن أملنا في تجاوز هذه الازمة يصبح محققاً .

معركة مع ذئاب

في تمام الواحدة والنصف بعد منتصف الليل بدأت الذئاب تتحرك .

كان اول ما فعلته انها اقتربت من جسم السيارة وراحت تتشممه من كل جانب . ثم بدأت تشب على سيقانها وتخمش بأظافر أيديها حديد السيارة كأنها تتحسس ثغرة لتنفذ منها . وكانت أصوات اظافرها على حديد السيارة تصل إلى أسماع الطلاب مضخمة قوية .

ودب الفزع في الطلاب والطالبات على السواء . وحاول بعضهم استعمال المصباح والمفك ، فقال خالد :

ـ الزموا الهدوء التام ولا تتحركوا . . فإن الحركة تهيج الذئاب وتسرع في هجومها . . ولا يستعمل احد مصباحه او مفكه الا عند الضرورة .

وعوى ذئب على مقربة من احدى النوافذ ، فصرخت الطالبة القريبة من النافذة من فزعها ، ثم انفجرت تبكي وترتجف . فاسرعت اليها ليلى ، وضمتها الى صدرها ، وراحت تربت بيديها على ظهرها حتى هدأت وعادت الى مقعدها .

وتعالت أصوات أظافر الذئاب على السيارة حتى خيل للذين داخلها انها تريد ان تحفرها بمخالبها الحادة .

وكأن هذه الاصوات هيجت الذئاب ، فبدأت تتقافز نحو النوافذ العالية . وكان اول نافذة قفز اليها ذئب هي التي كان يحرسها فينو . ولكن الكلب الشجاع كان للذئب بالمرصاد ، فما كاد يلمح وجهه خلف الزجاج حتى نبح فيه نبحة قوية جعلته ينقلب على ظهره ، ثم ينهض ليولي الأدبار .

كان لما فعله فينو اطيب الأثر في نفوس الطلاب ، فقد دبت الحماسة في نفوسهم ، وزال عنهم الخوف الذي كان مسيطراً عليهم . وصاحت ليلى تحيي فينو :

- مرحى لك يا فينو ! إياك ان تسمح لأي ذئب بالنفوذ الى السيارة .

وكأنما فهم الكلب تحيتها ، وأراد ان يردها لها شاكراً ، فراح يهر هريراً ناعماً لطيفاً .

أما فصيح فأخذ يردد :

- مرحى فينو . ! مرحى فينو !

وأما سرور فقد اضطر الى كتمان غيرته وحسده لما رأى من إجماع الطلاب على الاعجاب بشجاعة فينو وتواضعه . ولكنه عقد العزم على إظهار

مواهبه في أول فرصة تسنح له ، حتى لا يخلي الميدان لفينو وحده ، ويتركه يستأثر بإعجاب الجميع وتقديرهم .

ويظهر ان القدر لم يشأ أن يطول انتظار سرور كثيراً ، اذ ما لبث أحد الذئاب أن قفز إلى نافذة لم تكن تحت حراسة أحد ، وعندئذ قفز سرور في خفة عجيبة والصق وجهه بزجاج النافذة وقد فتح فمه على مصراعيه ، فلما رأى الذئب المهاجم فم القرد المفتوح وأسنانه الكبيرة المندفعة الى الأمام ، ظن أنه يريد أكله فولّى هارباً لا يلوي على شيء .

صاحت ليلى تحييه :

- مرحى لك يا سرور !

وردد فصيح وراءها :

- مرحى سرور ! مرحى سرور !

وأما سرور فأخذ يصفق ويقفز ويقهقه جذلان فرحاً .

ونسي اهل السيارة موقفهم العصيب ، فأخذوا يصفقون ويضحكون وهم لا ينفكون يبدون إعجابهم بشجاعة هذه الحيوانات اللطيفة .

وزاد هياج الذئاب نتيجة الصخب الذي حدث في السيارة فأخذت تهاجم النوافذ بعنف وشراسة . وعندئذ أمر خالد باستعمال المصابيح والمفكات وكل شيء يصلح للطرق والقرع على جوانب السيارة لإحداث فرقعات تنفر الذئاب .

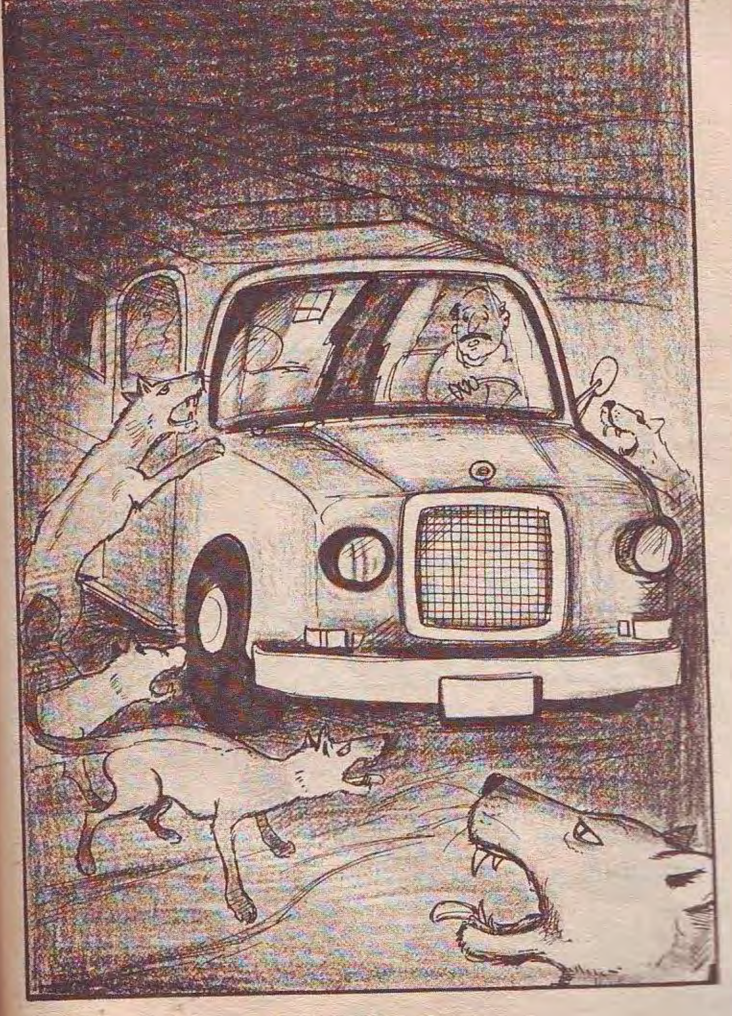
ومضت ساعة والمعركة على أشد ما تكون عنفاً وضراوة . وكأن غريزة القتال للدفاع عن النفس قد تحركت في النفوس ، فنسي الجميع ، طلاباً وطالباتٍ ، خوفهم القديم ، وانغمسوا جميعاً في جو المعركة ، فراح الذين لا يملكون مصابيح او اشياء أخرى يُفزعون الذئاب بأيديهم وبالتكشير عن أسنانهم كما فعل سرور . ولكن الذئاب لم تكن تزداد إلا تصميماً وشراسة . وكانت لا ترتد من هجمة الا لتعيد الكرة في شراسة أقوى وتصميم أشد .

واختلط عواء الذئاب وزمجرتها بنباح فينو وصياح الطلاب وقرعات المفكات على جدران السيارة حتى غدا من المستحيل تمييز صوت من صوت او معرفة مهاجم من مدافع .

وفجأة انبعث صوت حاد يختلف عما حوله من أصوات الضجيج ، ثم تلاه صوت انهيار زجاج ورنين تحطمه على الارض .

كان أحد الذئاب الشرسة قد قفز على نافذة في مؤخرة السيارة ، وعض بأنيابه الحادة القوية على زجاجها فكسره ، فانهار وتحطم .

ولكن الرفاق كانوا قد حسبوا لمثل هذه المفاجأة حسابها ، وأعدوا أنفسهم لها . وكان وليد أقرب من خالد وعصام الى النافذة ، فأسرع نحوها وقد أشرع بندقيته المحشوة ، وحين رأى أحد الذئاب يتحفز للوثوب وضع فوهة بندقيته في النافذة وسدد نحو عينيه . وفي اللحظة التي



وهاجمت الذئاب السيارة

قفز فيها الذئب اطلق وليد النار بين عينيه ، فخر الذئب مضرجاً بدمائه .

وثب ذئب آخر فلم تكن نهايته بأسعد من نهاية صاحبه . وعندئذ أسرع عصام ليأخذ مكان وليد ، ريثما يعيد هذا حشو بندقيته ، واستطاع هو الآخر أن يجندل ذئبين آخرين . ثم انسحب ليعيد حشو بندقيته ، وترك محله لوليد الذي أضاف الى قائمة حسابه من القتلى اثنين من أضخم وأشرس الذئاب المهاجمة .

ولم يمض على ذلك ربع ساعة حتى كانت اكثر من ثلاثين ذئباً مكدسة أمام النافذة المكسورة .

ومع ذلك فان هجوم الذئاب لم يتوقف . بل على العكس زاد عنفاً وشدة ، وكأن رائحة الدماء قد زادت في ضراوتها وهيجت جوعها وشهوتها الى الافتراس .

تركز هجوم الذئاب الآن امام النافذة المكسورة ، لأنها رأت فيها المنفذ الوحيد المتاح لها الى داخل السيارة . وأقبل خالد ليشرف على عملية الدفاع وليساعد رفيقيه اذا احتاج الأمر الى المساعدة . وبالفعل فقد اتفق عدة مرات أن احتاج وليد وعصام الى حشو بندقيتهما في وقت معاً ، فتولى خالد الدفاع عن النافذة ببندقيته ، وأوقع بالذئاب المهاجمة عدة إصابات بلغت اكثر من عشر .

وعلى الرغم من النجاح الباهر الذي حققه الرفاق الثلاثة ببنادقهم ،

فإن خالداً كان يزداد قلقه دقيقة بعد أخرى . ذلك أن الذخيرة كانت تتناقص إثر كل إصابة . أما الذئاب فلم يكن يبدو عليها النقصان برغم الخسائر الجسيمة التي وقعت في صفوفها . ونظر خالد الى آخر صندوق بقي لديهم فلم يجد فيه أكثر من ثماني طلقات .

بدا الموقف حرجاً أشد الحرج ، فماذا يفعلون اذا نفدت الذخيرة تماماً ؟ بل ماذا يفعلون اذا حدث أن تحطمت نافذة أخرى ؟

كان لا بد من إيجاد حل آخر لسد هذه الثغرة اللعينة ، ولتحاشي حدوث ثغرة أخرى تزيد الموقف سوءا .

قال خالد يخاطب رفيقيه :

ـ عصام . . وليد . . أفرغا بندقيتيكما من الذخيرة ، وسأتولى انا الدفاع عن النافذة . .

نفذا الأمر دون مناقشة ، لأنهما يثقان بسداد رأي خالد ، وحسن تصرفه في مثل هذه المواقف العصيبة . فلما انتهيا قال لهما :

ـ اجعلا البندقيتين على شكل صليب ، ثم اجعلا رؤوسهما الى خارج النافذة ، واتركا أخمصيهما إلى الداخل ، واترساهما في زوايا النافذة الأربع بحيث تكونان كالقطرين لها . وسأقوم أنا بحمايتكما .

وبعد أن تم العمل كما أمر خالد ، بدا للجميع صواب الفكرة وجدواها . . لقد صارت البندقيتان المتصالبتان في النافذة كأنهما قضبان

حديدية تسدها وتمنع أي جسم يزيد حجمه على حجم الهر من النفاذ منها .

ولكن هذه العملية اقتضت تجميد عنصرين من أهم عناصر الدفاع وهما وليد وعصام ، إذ كان عليهما أن يظلا ممسكين بقوة بأخمصي البندقيتين.وكان لا بد من حل لهذه المشكلة ، خسارة الدفاع في وليد وعصام خسارة فادحة . وهنا جاءت ليلى بالحل المنشود إذ قالت :

- يمكن ترس الأخمصين بمسندي المقعدين اللذين يكتنفان النافذة من أمامها وخلفها . .

وبالفعل ، فإنهما بعد أن نفذا اقتراحها بدت البندقيتان أكثر ثباتاً مما كانتا من قبل .

وبعد أن اطمأن خالد الى سلامة التحصينات ، والى ان الثغرة سدت بإحكام ، أقام على النافذة أحد الطلاب الأشداء ، وأعطاه مفكاً حديدياً طويلاً ، وأمره أن يدافع به عن تحصينات النافذة ضد الذئاب المهاجمة ، وقال له :

- كلما حاول ذئب أن يمد رأسه من خلال البندقيتين فأضربه بهذا المفك ، والأفضل أن تخزه في عينيه أو في حلقه .

والتفت إلى وليد وقال له :

- لم يبق عندنا سوى بضع طلقات وبندقية واحدة يجب الاحتفاظ بها

جميعاً للطوارىء فخذ البندقية ، وضع ما بقي من الطلقات في جيوبك ، وكن يقظاً لكل مفاجأة .

قال هذا ، ودفع إليه بالبندقية التي كانت معه ، ثم مضى الى مقدمة السيارة وقال للسائق :

- أشعل الآن كشافات السيارة الأمامية ، وسر بها في أقصى سرعة تستطيعها . واذا كان بإمكانك فصل أنبوب العادم عن المحرك ، فإن ذلك يكون أفضل .

ولم يفهم السائق الأهداف التي كان يرمي إليها خالد ، فقال يسأله :

- وماذا تريد من ذلك ؟ ثم كيف يمكننا الانطلاق بالسيارة ونحن على تل صغير والوديان تحيط بنا من كل جانب ؟ ثم ما دخل أنبوب العادم في أزمتنا ؟

أجاب خالد شارحاً :

- ان السيارة في وضعها الساكن هذا هي هدف ثابت للذئاب ، ومهاجمة الهدف الثابت أسهل على المهاجم من مهاجمة الهدف المتحرك . فإذا تحركت السيارة بسرعة معقولة ، فإني أرجو أن يخفف ذلك من حدة هجوم الذئاب . ولأننا محاصرون بالوديان كما تقول ، فإن باستطاعتك أن تسير بالسيارة في حركة دائرية بحيث نظل فوق التل . وسوف تؤدي هذه الحركة الى بعثرة الذئاب وتمزيق تجمعاتها ، كما أن أنوار كشافات السيارة سوف تفعل فعلها في إفزاع الذئاب وتفريقها .

قال السائق وقد التمعت عيناه سروراً واعجاباً بروعة الخطة :

ـ عظيم جداً . ! ولكن ما حكاية أنبوب العادم ؟

قال خالد بلهجة اللائم :

ـ يا سبحان الله . ! ألست سائقاً ؟ ألا تعلم أن انبوب العادم يكتم صوت المحرك ويخنقه ؟ فإذا فصلته عن المحرك ، فإن فرقعات احتراق الوقود تخرج من المحرك وكأنها طلقات مدافع . وانت تعلم مقدار تأثير هذه الأصوات القوية في الذئاب المهاجمة .

قال السائق وهو لا يكتم فرحته واعجابه :

ـ رائع أيها الفتى الذكي . ! ومن حسن الحظ أن تصميم سيارتي يجعل المحرك في داخل صالون السيارة . . ونستطيع ان نفعل كل شيء ونحن هنا دون الاضطرار الى الخروج .

قال هذا ، ومال الى غطاء المحرك الذي كان إلى جانبه ، وفتحه ، وراح يعالج في مهارة وسرعة أنبوب العادم حتى فصله عن المحرك . ثم استوى في مقعده ، وأشعل النور في الكشافات ، ثم أقلع بالسيارة في خط دائري ، وبأقصى سرعة تتحملها وعورة المكان . وكان بين الفينة والفينة يضغط برجله على مداسة البنزين ضغطاً زائداً ، فتنبعث من المحرك أصوات قوية جداً كأنها أصوات انفجارات قنابل .

نجحت الخطة نجاحاً أروع مما كان مقدراً لها ، فلم يقتصر الأمر على تفريق تجمعات الذئاب وتشتيتها فقط ، بل إن بعضها كان يقع تحت

عجلات السيارة فينسحق بها انسحاقاً . ولما رأى السائق عظم الجدوى التى حصلت من هذه الحركة ، راح يوجه مقدمة سيارته نحو تجمعات الذئاب ويفتك بها فتكاً ذريعاً . وهكذا تبدل الموقف تبدلاً كلياً ، فبعد أن كانت السيارة هدفاً سهلاً لهجوم الذئاب ، صارت الآن سلاحاً ماضياً ضدها .

وشعر الطلاب المدافعون عن النوافذ بشيء من الراحة بعد تطبيق هذه الخطة الجديدة ، ذلك أن الذئاب الواثبة على النوافذ كانت تنزلق على الزجاج بسبب حركة السيارة وتأرجحها . وتنفس الجميع بارتياح ، واقبلوا على خالد يهنئونه .

قالت الآنسة بهية :

ـ اهنئك يا خالد من صميم قلبي . . فلولا ذكاؤك ورباطة جأشك لكنا جميعاً طعمة لهذه الذئاب الكاسرة .

قال خالد في تواضع وأدب جم :

ـ اشكرك يا سيدتي . . ولكن وقت التهنئة لم يحن بعد . .

قالت الآنسة تسأل باستغراب :

ـ وكيف ذلك ؟ ألا ترى مقدار ما أوقعنا بالذئاب من الخسائر حتى الآن ؟

أجاب خالد في هدوء ورصانة :

ـ سيدتي ، إن الذئاب الجائعة حيوانات مجنونة لا تدرك معنى الخسائر

كما يدركها الإنسان ، فهي لا تفزع اذا سقط بعضها او اكثرها قتيلاً ،لأنها لا تهاجم لتكسب حرباً ، بل تهاجم لأنها تشعر بالجوع وتريد فريسة تأكلها . ولذلك فنحن تحت الخطر حتى آخر ذئب جائع ما لم يحدث شيء يؤدي الى إفزاعها وطردها .

قالت الآنسة تسأل في لهفة :

- وما هذا الشيء يا خالد ؟ قل ما هو حتى نفعله .

أجاب خالد :

- لو كنت ادري ما هو لفعلته .

ونظر الى ساعته التي كانت تشير الى الرابعة صباحاً ، ثم الى الخارج حيث كان الظلام لا يزال مخيماً ، ثم عاد يقول :

- اذا استطعنا الصمود ساعة اخرى فإني لأرجو أن ننجو من هذه المحنة إن شاء الله .

قالت ليلى تسأله :

- وماذا تتوقع أن يحدث بعد ساعة ؟

قال يجيبها :

- لست ادري . . ولكن أرجو أن يطرد الصباح بضوئه هذه الذئاب العنيدة . وسكت قليلاً ثم استأنف يقول :

- عودوا الآن الى مراكزكم وكونوا أيقاظاً حتى لا نفاجأ بأمر غير سارٍ .

انصرف الطلاب الى مراكزهم بكل هدوء وانصياع ، وقد عقدوا العزم على المقاومة حتى آخر لحظة .

***

ومر ربع ساعة ، ثم ربع ساعة أخرى دون ان يجد في الأمر جديد .

كانت السيارة تعلو وتهبط وتتأرجح بشدة وعنف وهي تدور في دائرة مغلقة كبغل قوي يدور في طاحونة . وكان الطلاب بداخلها يتواثبون ويرتطم بعضهم ببعض ويتمايلون يميناً وشمالاً . وكانت الذئاب لا تزال تطارد السيارة وتهاجمها وهي تعوي وتزمجر في شراسة وضراوة . وعلى الرغم من ان اكثر من مائة إصابة وقعت فيها حتى الآن ، فإنها كانت من الكثرة والكثافة بحيث يخيل للمرء انها لم تفقدا أحداً منها ، أو أنها تنبع من منبع مجهول .

وكان خالد لا ينفك ينقل بصره في قلق بين ساعته وبين الظلام المخيم في الخارج ، والذي كانت عيون الذئاب تلتمع من خلاله كلما وقعت عليها أنوار المصابيح الكهربائية .

ومر الوقت في بطء شديد ، حتى يخيل لخالد أن الزمن قد تمدد ، وأن كل دقيقة منه صارت تعادل ساعة . ونظر في ساعته فاذا هي تشير الى الخامسة الا الربع ، فألقى ببصره الى الخارج ، فلاحت له في الأفق خيوط الفجر الأولى .

وفجأة وقع ما كان يخاف منه .

فقد ارتطمت أنياب أحد الذئاب بزجاج نافذة في قوة شديدة ، فانكسر الزجاج وتهاوى على الأرض ، وانفتحت بذلك ثغرة جديدة .

ومن حسن الحظ أن وليداً كان قريباً من النافذة المتحطمة ، فلما كاد يسمع صوت انهيار الزجاج حتى أشرع بندقيته ، وأسندها الى كتفه في ثبات وهدوء ، ثم أطلق على أول ذئب واثب فأرداه قتيلاً .

ووثب ذئب آخر فتلقاه وليد بطلقة أخرى طرحته أرضاً وهو يعوي عواء منكراً .

واسرع عصام وبيده مفك طويل راح يشاغل به الذئاب المتواثبة ريثما يعيد وليد حشو بندقيته ، فلما انتهى هذا من إعداد البندقية رفعها إلى كتفه وسدد ثم أطلق فخر ذئبان آخران .

كان خالد يشاهد ما يجري وهو يعمل فكره في سرعة . . إنه على يقين بأن هذا لن يستمر طويلاً ، فالطلقات تتناقص بسرعة ، ولم يبق في جيوب وليد منها سوى أربع أو خمس . . فماذا يحدث عندما تستهلك كلها ؟ لا بد أن الذئاب ستندفع إلى الداخل لا يقف في وجهها شيء ، وعندئذ ستحل الكارثة الرهيبة التي حاولوا تجنبها بكل قوة وشجاعة حتى الآن .

لا بد من فعل شيء . . وبكل سرعة قبل أن يفوت الأوان . . ولكن

ماذا يمكن أن يفعل ؟

وفجأة لمعت في خاطره فكرة ، فأسرع ينفذها بدون تردد .

اندفع نحو السائق وصاح به في صوت مرتفع ليتغلب على اصوات الضجيج المنبعثة من محرك السيارة .

- اسمع . . هل عندك في السيارة بنزين احتياطي ؟

أجاب السائق دون أن يلتفت لانهماكه بقيادة السيارة :

- تحت رجلي الدليل يوجد غالون احتياطي .

قال خالد للدليل :

- اعطني هذا الغالون بسرعة .

نفذ الدليل الأمر الصادر اليه بدون تردد ، فأخذ خالد الغالون ، ثم خلع سترته على عجل ، وفتح فم الغالون ، وراح يسكب البنزين على السترة حتى تشبعت به ، ثم مضى نحو النافذة المكسورة حيث كان وليد وعصام لا يزالان يخوضان مع الذئاب المهاجمة معركة حياة او موت .

كان وليد في هذه اللحظة يحشو بندقيته بآخر طلقتين بقيتا معه ، وكان عصام يشاغل له الذئاب بمفكه الطويل . وحين انتهى اعداد البندقية ، رفعها وليد إلى كتفه ، ثم اطلق فصرع ذئباً ، وأطلق ثانية فصرع ذئباً آخر ، ثم لم يبق في البندقية شيء !

نظر وليد الى بندقيته الفارغة والغضب يكاد يأكله . . أمسك بها بكلتا

يديه ، ثم رفعها فوق رأسه ، وطوى ساقه ، وعندما هم أن يحطمها على فخده كان خالداً قد صار خلفه تماماً ، فأمسك بيده ، وانتزع منه البندقية ، وعلق في نهاية سبطانتها سترته المشبعة بالبنزين ، وقال موجهاً كلامه الى عصام :

ـ شاغل الذئاب عني يا عصام !

ولم يدر وليد ماذا يريد خالد أن يفعل الى أن قال له :

ـ هل معك ثقاب ؟

فتش وليد في جيوبه دون أن يسأل لماذا ، فعثر على علبة فأخرجها ، وقبل أن يقدمها الى خالد قال له هذا :

ـ أخرج عوداً منها ، وهيئه للإشعال .

وبينما كان وليد يفعل ما أمره به خالد ، كان هذا قد رفع البندقية بالسترة المبللة بالبنزين ، وقدمها في حذر نحو النافذة ، وراح يترقب اللحظة المناسبة .

قال لوليد دون أن يحول بصره عن النافذة :

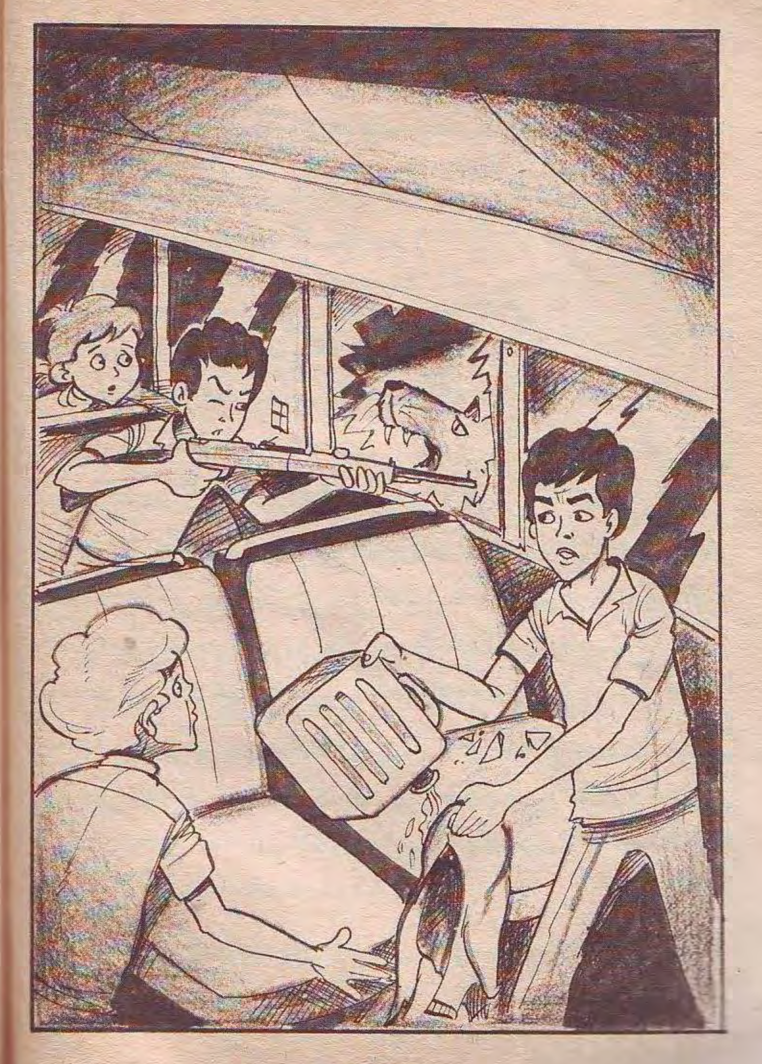
ـ هل أنت مستعد ؟

أجاب وليد وقد فهم ما ينوي أن يفعله خالد :

ـ نعم . . على اتم الاستعداد . .

وفي هذه اللحظة رأى خالد ذئبا يتحفز للوثوب فقال لوليد :

ـ أشعل عود الثقاب واتركه بعيداً عن السترة وانتظر . .



دفاع مستميت

وفي اللحظة التي وثب فيها الذئب نحو النافذة رمى وليد بعود الثقاب المشتعل نحو السترة فالتهبت كلها دفعة واحدة ، فألقاها خالد على الذئب ، فوقعت وهي مشتعلة على رأسه والتفت حول عنقه .

أخذ الذئب يتخبط داخل السترة الملتهبة ويحاول الخلاص منها ، ولكن عبثاً حاول . وسرت النار من السترة الى شعر بدنه ، فغدا كتلة كبيرة من اللهب المتوهج . فعوى بصوت مخيف ، وولى هارباً يهيم على وجهه على غير هدى .

وحدث ما لم يكن يتوقعه أحد إلا خالد ، فقد سيطرت على الذئاب روح القطيع . فاندفعت بغير شعور منها وراء الذئب الهارب المحترق ، وأصوات عوائه وعوائها تتجاوب أصداؤها في جنبات الوديان المجاورة .

تنفس خالد ورفاقه بارتياح ، والتفت الى السائق وقال له :

- اوقف السيارة ، فلم تبق حاجة الى هذا الدوران الذي دوخنا .

وحين وقفت السيارة شعر الجميع بالتعب يدب فجأة في أوصالهم بعد هذا المجهود الكبير الذي بذلوه ، وأحسوا بأن أعصابهم في أشد الحاجة الى الارتخاء بعد التوتر الذي كانت فيه مدة طويلة ، فسقطوا في مقاعدهم ينهدون . وبكت بعض الطالبات من الفرح ، وأقبل بعضهن على بعض يتعانقن ويتبادلن التهاني بالسلامة ودموع الفرحة تجري على خدودهن .

تهاوى خالد في مقعده ، وألقى برأسه الى المسند وقد أحس بحاجة

شديدة الى النوم . ونظر في ساعته .

كان الوقت قد تجاوز الخامسة والربع . وكان ضوء الفجر قد انتشر فعم الكون . ونظر خالد الى السماء الزرقاء ، والى نور الفجر الذي غمر الهضاب والسهول ، وتساءل بينه وبين نفسه ، لماذا تبدو السماء أجمل مما كانت في أي يوم مضى ؟ ولماذا يبدو هذا الفجر أجمل واروع من كل فجر رآه في حياته ؟

ولم يستطع أن يجد الجواب ، لأنه شعر بالنعاس يتسلل الى أجفانه ، فأغمض عينيه ونام .



النهاية

استيقظ خالد على صوت ليلى وهي تهزه قائلة :

ـ خالد . . خالد . . استيقظ وانظر . .

فتح خالد عينيه ونظر الى حيث اشارت ليلى ، فرأى على بعد خمسين متراً من السيارة ثلاثة جمال يركبها رجال قد تدثروا ببرانس حمر . وغطوا رؤوسهم بالقلانس ، وهم مقبلون نحو السيارة بسرعة .

نظر الى ساعته فرآها تشير الى السابعة إلا بضع دقائق ، كما لاحظ أن الشمس قد أشرقت ، وأن اشعتها الذهبية قد تسللت الى جو السيارة .

نهض من مقعده، وعاد ينظرُ إلى راكبي الجمال القادمين وهو يقول :

ـ هؤلاء من (الهجّانة) سلاح البادية . . ترى ما الذي جاء بهم ؟ !

وكأنما لاحظ القادمون أن ركاب السيارة قد تنبهوا إلى وجودهم ، إذ رفع أحدهم يده ملوحاً بينما كانت يده الأخرى لا تزال ممسكة بزمام جمله .

وتجمع الطلاب في احد جانبي السيارة ، وطفقوا يلوحون للقادمين مرحبين مهللين . ولكن هؤلاء ما كادوا يصيرون على بعد عشرين متراً

حتى جمدوا في مكانهم فوق جمالهم وأخذوا يجيلون النظر فيما حولهم وأمامهم وقد عقدت الدهشة ألسنتهم وشلت حركتهم .

كانت الأرض حول السيارة مغطاة تماماً بجثث ما يزيد على مائة وخمسين ذئباً من أضخم ما شاهدوه في حياتهم من ذئاب الصحراء . وقد اختلطت دماؤها بالطين بفعل عجلات السيارة التي كانت تعجنها في دورانها ، حتى بدت البقعة وكأنها دائرة هائلة صبغت باللون الأحمر لتكون هدفاً لتدريب الطائرات القاذفة .

نظر بعض الرجال الى بعض نظرات العجب والاستغراب ، وكأنهم يتساءلون : ترى من قتل كل هذه الذئاب ؟ وكيف حدث ذلك ؟

ولما لم يجدوا لتساؤلاتهم جواباً همزوا رواحلهم التي راحت تتقدم نحو السيارة في بطء ، وهي تنقل أخفافها بين جثث الذئاب المنتشرة في كل مكان .

أصلحت الآنسة بهية هندامها ، ورتبت شعرها المنفوش ، ثم شقت طريقها الى باب السيارة ، ففتحته ووقفت أمامه تستقبل القادمين .

وصل الرجال الثلاثة ، فترجل أحدهم الذي كان يبدو أنه رئيسهم ، وتقدم من الآنسة بهية وهو يقول :

ـ صباح الخير يا سيدتي ـ أنا الملازم فوّاز من سلاح الهجانة . . جئنا نبحث عنكم إثر أمر تلقيناه من مقر قيادة قوات البادية .

قالت الآنسة بهية بلهجة لم تستطع إخفاء نغمة الغضب الممزوجة بها :

ـ أشكر لك أيها الملازم المحترم هذه اللفتة اللطيفة من قيادة قواتكم . . ولا أستطيع إلا أن أبدي أعجابي بسرعة نهوضكم الى نجدتنا . .

أدرك الملازم السخرية المبطنة في كلام الآنسة فقال يعتذر :

ـ لم يكن بالامكان يا سيدتي العثور عليكم وسط الظلمات الكثيفة بالسرعة المطلوبة . والبادية واسعة ، والدوريات التي كلفت بالبحث عنكم قليلة ، والأرض مغمورة بالوحول التي جعلت السير فوقها شاقاً . . وعلى كل حال فالحمد لله على سلامتكم .

قالت الآنسة في جفاف :

ـ الله يسلمك . .

قال الضابط وقد رأى أنها قبلت عذره :

ـ ولكن قولي لي يا سيدتي ، ما حكاية وقوفكم في هذا المكان وبين هذه الجثث للذئاب ؟

أجابت الآنسة وقد شمخت بأنفها في كبرياء وعظمة :

ـ ستعرف الحكاية من فم بطلها الحقيقي . .

والتفتت إلى الوراء وصاحت :

ـ أين خالد ؟

وأقبل خالد ملبياً نداء آنسته في تواضع . فلما وقف أمامها قدمته إلى

الضابط وهي تربت على كتفه في اعتزاز قائلة :

ـ هذا هو بطل المعركة الذي جندل بذكائه وثبات جنانه ما ترى من هذه الوحوش الكاسرة . وسنظل جميعاً مدينون له بالحياة حتى الأبد . . إنه الطالب خالد ابن مفتش الشرطة المقدم جميل الأزهري .

أحس خالد بالخجل من المديح الذي راحت الآنسة تكيله له بغير حساب ، فتمتم يقول :

ـ عفواً يا سيدتي . . إن الفضل يعود إليكم أولاً وآخراً . . فلولا تعاوننا جميعاً ، ولولا تماسكنا أمام الخطر المشترك ، لما امكنني أن أفعل شيئاً .

قال الضابط الذي مد يده إلى خالد وراح يشد عليها بقوة :

ـ كفاك تواضعاً أيها الفتى الرائع ! ولكن لا عجب ما دمت نجلاً للمفتش جميل الأزهري الذائع الصيت . . والمثل العربي يقول : الأسد لا يلد إلا شبلاً .

وتلفت حوله يعيد النظر الى الجثث المتناثرة وكأنه لا يصدق ما يرى ، ثم قال :

ـ ولكن حدثني كيف تم لكم قتل هذا العدد الهائل من الذئاب ؟ !

وبكلمات هادئة ومركزة راح خالد يشرح له الأمر من بدايته حتى النهاية . فلما انتهى من كلامه عاد الضابط يشد على يده وهو يقول :

- أهنئك من كل قلبي . . واشكرك بالاصالة عن نفسي وبالنيابة عن الجميع على ما أسديت لهم من عمل عظيم سيكون محط إعجاب المسؤ ولين وتقديرهم حينما يعلمون به .

قال هذا والتفت الى أحد مرافقيه الذي كان لا يزال فوق بعيره ، وقال له :

- بشير . . اتصل بمقر القيادة ، وأبلغهم أننا عثرنا على السيارة الرابعة فوق تل العمارة ، وأن جميع ركابها سالمون .

وبينما كان المدعو بشير يحاول الاتصال بمقر القيادة عن طريق جهاز لاسلكي كان معلقاً على كتفه ، قال خالد يسأل الضابط :

- سمعتك تقول : « السيارة الرابعة » ، فهل عثرتم على السيارات الثلاث الأخرى ؟

أجاب الملازم فوّاز باسماً :

- نعم . ولكنها لم تكن وسط مثل هذه المجزرة الرهيبة .

كانت الآنسة بهية قد نسيت في غمرة الأهوال التي مرت بهم أمر السيارات الأخرى . فلما ذكرها سؤال خالد عنها التفتت إلى الضابط وقالت تسأله واللهفة بادية عليها :

- وكيف حالهم ؟ هل هم سالمون ؟

أجابها الضابط مطمئناً :

- اطمئني يا سيدتي . لم يصب أحد منهم بسوء .

قال خالد مستفسراً :

- وكيف نجوا من السيل؟ هل ارتقوا أحد التلال مثلنا ؟

أجاب الملازم :

- لا . وكان ذلك من حسن حظهم . فلو فعلوا لذهبوا طعمة للذئاب الجائعة ، إذ لا أظن أنهم كانوا سيحظون بخالدٍ آخر ينقذهم من المصير المشؤوم .

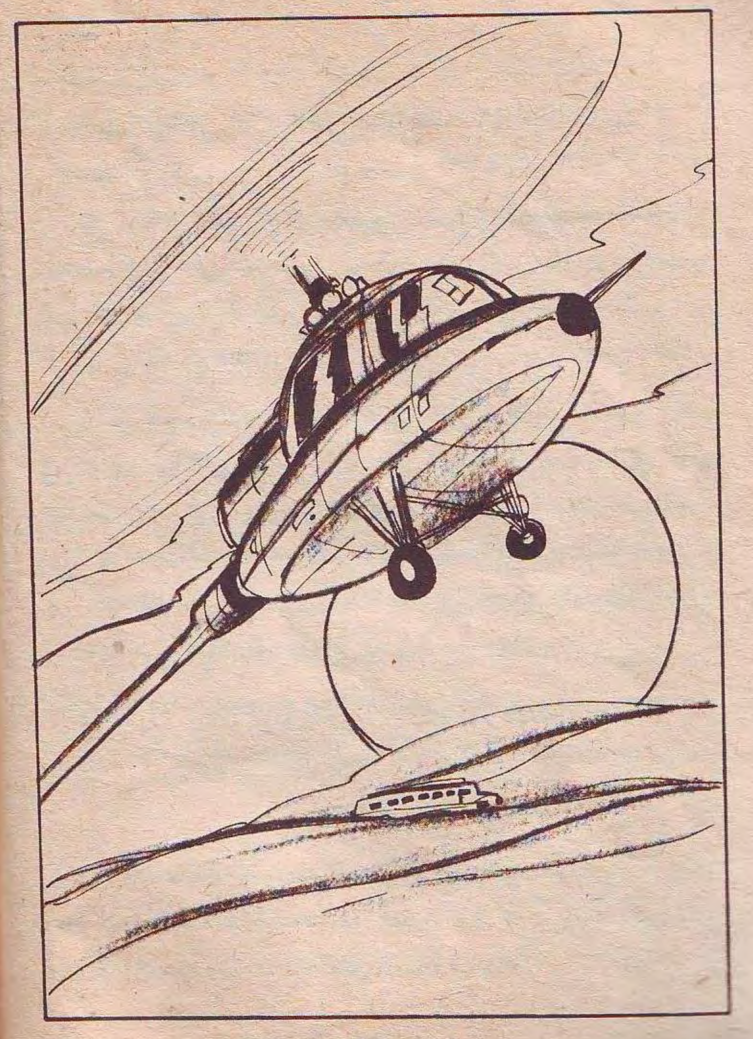
وسكت الملازم قليلاً ثم استأنف يقول :

- كانوا مثلكم خائفين من أن يجرفهم السيل . وبسبب تقدمهم عليكم في الطريق رأوا أنه بإمكانهم الخروج من الوادي قبل أن يداهمهم التيار الجارف . فأسرعوا السير حتى خرجوا من الوادي ، وجنحوا بسياراتهم الى أرض مكشوفة متسعة . ولكن مياه الفيضان وصلت إليهم وأحاطت بهم ، فحالت بين الذئاب وبينهم . ويجري العمل الآن على إخراج سياراتهم من مستنقع الماء والوحل الذي تكون حولها .

وما كاد الطلبة يسمعون نهاية هذا الخبر السار حتى علت صيحات الفرح منهم ، وأقبل بعضهم على بعض يتعانقون مبتهجين مسرورين .

***

وبعد أن صافح الضابط ركاب السيارة فرداً فرداً مهنئاً بالسلامة ، وبعد أن تعرف بصورة خاصة على أعضاء فرقة المغامرين بما فيهم فينو وسرور وفصيح ، التفت الى سائق السيارة وقال له :



إنقاذ من الجو

ـ أشعل سيارتك واتبعنا .

قال الدليل الذي كان إلى جوار السائق :

ـ ولكن كيف والوادي ملآن بالمياه والأوحال ؟

قال الضابط الشاب :

ـ لن نسلك الوادي طبعاً . . إننا سنسلك الطريق الذي جئنا منه ، وهو طريق جاف لا خطر منه . . ولكن يظهر أنك لا تعرفه . وهذا خطؤك الذي أدى الى وقوع من معك في هذه المحنة القاسية .

وحاول الدليل ان يحتج على هذه الطعنة في مدى معرفته بالمنطقة ، ولكن أحداً لم يلتفت إليه .

وصعد الجميع الى أماكنهم في السيارة ، ومضى الضابط فامتطى بعيره ، ثم تقدم مع رفيقيه يكشفون الطريق ، والسيارة من خلفهم تتأرجح وتعلو وتهبط .

وفجأة مرت السيارة فوق حفرة عميقة بعدها نشز من الأرض ، فهبطت ثم ارتفعت ثم هبطت بقوة ، فانقذفت الآنسة بهية من مقعدها الى الأعلى حتى ارتطم رأسها بشدة بسقف السيارة ، فنتأ لها في رأسها كرة زرقاء في حجم البرتقالة . ولكنها لم تتجاهل الأمر هذه المرة ، بل صاحت في ألم ، وأخذت تتحسس رأسها وتقول :

- يا إلهي . ! لقد صارتا كرتين . . كرة في المجيء ، وكرة في العودة ! لن اشترك في رحلة مدرسية بعد اليوم .

***

نسي الطلاب والطالبات ما مر بهم من ساعات رهيبة ، فعادوا الى ما كانوا فيه صباح يومهم من هزج وغناء ومرح . واندمج سرور بجو البهجة الذي ساد الجميع ، فقام يرقص ويصفق ويقهقه ، ويقفز في خفة من مقعد الى مقعد ، حتى سقط في حجر الآنسة بهية التي فوجئت به فصاحت في فزع :

- بسم الله الرحمن الرحيم . . ما هذه الرحلة الشيطانية ؟ !

وضحك الجميع حتى استلقوا على أقفيتهم ، الا الآنسة بهية التي عادت الى صرامتها وعبوسها .

ولم يمض نصف ساعة على سير الموكب البهيج ، حتى سمعوا أزيز طائرة هيلو كوبتر تحلق في السماء .

نظر خالد من نافذة السيارة وقال للسائق :

- أرجو أن تتوقف قليلاً . . فربما أرسلوا هذه الطائرة للبحث عنا . .

وكان حدسه في موضعه . . فقد وقفت الطائرة فوقهم مباشرة ، ثم راحت تهبط رويداً رويداً حتى استقرت على الأرض غير بعيد عن السيارة التي توقفت الآن .

أسرع الملازم فوّاز فترجل عن جمله ، وتقدم من باب الطائرة الذي فتح لينزل منه رجلان أحدهما باللباس المدني ، والآخر بالزي العسكري برتبة نقيب .

قال الملازم يقدم نفسه :

- الملازم فواز من سلاح الهجانة .

قال الرجل الذي يرتدي الملابس المدنية :

- وأنا المقدم جميل الأزهري من الشرطة السرية ، وهذا مساعدي النقيب ماهر .

ضرب الملازم بكعبيه في وقفة عسكرية ، ورفع يده إلى رأسه بالتحية وهو يقول :

- اهلاً وسهلاً سيدي . . هذه هي السيارة سالمة ، ونجلكم المحروس بداخلها . . اسمحوا لي يا سيدي أن أهنئكم بهذا الفتى النجيب ، بل بهذا البطل المغوار .

رد المفتش تحية الضابط بايماءة من رأسه ، وشكر له تقريظه لابنه ، ثم تقدم باتجاه السيارة .

كان خالد قد عرف أباه منذ نزوله من طائرة الهيلوكوبتر ، فقفز نحو باب السيارة يتبعه الرفاق كلهم : ليلى وعصام ووليد وفينو وسرور وفصيح . ولما التقيا في منتصف الطريق ألقى بنفسه بين ذراعيه وهو يقول :

- الحمد لله على السلامة يا بابا ! !

ضحك المفتش جميل وقال وعيناه مغرورقتان بالدموع :

- الحمد لله على سلامتكم أنتم يا أحبابي . .

قالت ليلى التي وصلت الآن :

- أهلاً بك يا عمي . . كيف حال خالتي سعاد ؟

اجابها المفتش :

- لقد كانت ليلة قاسية علينا جميعاً ، ولكن الله سلّم . .

وأقبل عصام ووليد فصافحا عمهما الذي قبلهما مهنئاً إياهما بالسلامة ، ثم قال للجميع :

- يجب أن تسرعوا الى السيارة ، وتستأنفوا سيركم في طريق العودة ، فإن أهاليكم في أشد القلق عليكم .

قال عصام يسأل :

- ألم تخبروهم بسلامتنا ؟ .

أجاب المفتش جميل :

- بلى . . ولكنك تعلم مقدار لهفة الأهل في مثل هذه الحالات . . وعلى كل حال فإني سأرسل من الطائرة رسالة باللاسلكي تبشر الأهالي بسلامة أولادهم ، وستذاع هذه الرسالة بالراديو ليسمعها الجميع .

وعاد أعضاء الفرقة الى السيارة إطاعة لأمر المفتش ما عدا سرور الذي أمسك بيده وظل الى جواره لا يتحرك ، وهو يرمق الطائرة بعينيه

الفضوليتين . لاحظ المفتش تعلق سرور به ، ولكنه لم يفهم سبب ذلك ، وظن أنه يريد منه التفاتة خاصة ترفع من قدره في عيون ركاب السيارة ، فقال يداعبه :

- كيف حالك يا سرور ؟ وكيف حال صديقك اللدود فصيح ؟

لم يفلت سرور يد المفتش ، واكتفى بالاشارة باصبعه الى فصيح الذي قال :

- ماما سعاد . .ماماسعاد . .

ضحك المفتش وقال :

- هي بخير يا فصيح .

ولوح بيده للجميع محيياً ، وهم بالعودة الى طائرته ، ولكنه أحس بسرور يضغط على يده ولا يريد مفارقته ، وعندئذ أدرك غرضه فقال له :

- الى أين يا سرور ؟ لا يمكنك الصعود الى الطائرة .

نظر القرد الى وجه المفتش كأنه يستنكر دعواه بعدم قدرته على الصعود . وكأنما أراد أن يبرهن له على فساد دعواه ، فترك يده ، وقفز قفزة سريعة صار بعدها داخل الطائرة ، ثم استدار نحوه وهو يقفز في مكانه كأنه يقول له :

- انظر ها أنا ذا قد صعدت بسهولة تامة . .

ضحك المفتش لحركته البريئة ، والتفت الى خالد الذي وقف خلف نافذة السيارة وقال له :

- عليك الآن ان تقنعه بالنزول ! . . انها طائرة حربية لا يجوز ركوبها لغير العسكريين .

وعندما هم خالد بالنزول من السيارة للإتيان بسرور ، أدرك هذا غرضه ، فاختفى وراء أحد مقاعدها .

ضحك الطيار لحركات سرور ، وقال للمفتش :

- لا بأس يا سيدي . . سنصحبه معنا ، وسنتسلى برفقته .

وعندئذ كف خالد عن محاولته ، وصعد المفتش جميل ومساعده ماهر الى الطائرة وأغلق الباب خلفهما ، وأخذت مروحة الطائرة تدور . .

لما اطمأن سرور الى إنه لن يخرج من الطائرة ، خرج من مخبئه ، ووقف خلف النافذة يلوح بقبعته للرفاق الذين في السيارة .

صاح فصيح وقد دبت الغيرة فيه :

- سرور . . سرور . . خالد . . سرور هناك . .

فلما علا هدير الطائرة ، واطمأن الى أن صديقه اللدود لن يسمعه قال :

- سرور حمار . . سرور حمار . .

تمت

طبع في دار النخاش ص.ب ١١/٦٣٤٧ هاتف: ٨١٠١٩٤ - بيروت

« المغامرون الاذكياء »

لئن كانت غاية القصة « البوليسية » جذب القارئ ، وشدّه إلى متابعة أحداثها ، وتعويده على دقة الملاحظة ، وحضور البديهة .. إن كتّابها لم يراعوا - في الغالب - العرض الفنيّ والأدبي ، ولم يهتموا بالجانب الخلقي ، ولم يهدفوا إلى بناء المواطن المثالي ؛ لذلك فإنهم إن أفادوا من جانب . فلقد أضروا من جوانب شتى .

في قصتنا « البوليسية » هذه نعتز بالمحافظة على غاية هذا اللون من القصص ، مضافاً إليها العرض الأدبي الرائع ، والاعتزاز بالخلق الرفيع ، والاهتمام بالمبادئ التربوية القويمة التي جاءت بها ديانات السماء كلها وحَضّت عليها .

بالفخر الكبير ، نضع قصتنا هذه بين يدي الآباء والأمهات والأولاد والبنات والأخوة والأحباب وكل الغيارى على الفن والأخلاق .. مؤمنين أن هذا سبيل من سبل خدمة الأجيال .

